

مَبَادِئُ الْأِمَانِ

الْإِمَامُ الْأَكْبَرُ
مُحَمَّدُ الْحُسَيْنِ آلِ كَاشِفِ الْغَطَاءِ



مِبَادِىُ الْإِيمَانِ

الْإِمَامُ الْأَكْبَرُ
مُحَمَّدُ الْحُسَيْنِ آلِ كَاشِفِ الْغَطَاءِ



الإهداء

إلى روح الفقيه الوالد ، تلك الروح السامية التي
إتصفت بالفكر النير والذهن المتوقد والعلم الغزير ،
والأدب الرفيع ، والعاطفة المشبوبة وصفاء النفس ،
وحب الخير وقوة الإيمان ، والنشاط والحماس للعمل
الصالح والشجاعة الفائقة في قول الحق والثورة على
الظلم ، أهدي هذا الكتاب الذي هو منه وإليه ، آملاً
من الله الأجر والثواب .

عبد الحلیم آل كاشف الغطاء

ترجمة المؤلف

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، من الشخصيات المميزة التي تبوّأت مركزاً عالياً في عالم الفكر والإبداع . ويُعدُّ ، بحق ، من هبات الدهر . وما قدّمه للأجيال المؤمنة يُعتَبَرُ خيرَ زادٍ لأُولي الألباب .

كانت حياته عبارةً عن دروس وعبر ، وترك بصماتٍ مِنْ بَنَاتِ أَفْكَارِهِ فِي سَفَرِ التَّارِثِ ، هذه البصمات ستبقى شاهدة على ما لهُ مِنْ أَعْطِيَاتِ سَنِيَّةٍ فِي مَجَالَاتِ الْهَدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ .

اسمه ونسبه :

هو محمد الحسين ، بن علي ، بن محمد رضا ، ابن موسى ، بن جعفر^(١) ، بن خضر ، بن يحيى ، بن سيف الدين .

(١) هو الشيخ جعفر الكبير ، صاحب كتاب كشف الغطاء ، وهو والد الشيخ خضر .

ينتسب الى عائلة عربية يمانية . هاجر جدُّها
الأعلى ، الشيخ خضر بن يحيى ، الى النجف
الأشرف ، منذ مئتين وسبعين سنة تقريباً ، من
« جنازة » ، بلدة في جنوب الحلة .

أنجب أربعة أبناء ، منهم الشيخ جعفر وهو
أشهرهم ، والشيخ خضر من عشيرة آل علي ، وهي
فرع من قبيلة آل مالك ، التي لها عدة فروع في
الفرات الأوسط .

نشأته :

وُلِدَ في النجف الأشرف عام ١٢٩٤ هـ .
(١٨٧٧ م .) . وهناك نشأ وترعرع ، وتلقَّى علومه
اللسانية من نحو ، ومنطق ، وبلاغة . ولم يقصر
إهتمامه على الفقه وأصوله ، بل تعداه الى جملة من
فنون المعرفة ؛ كالحكمة وعلم الكلام ،
والرياضيات . وقد تبخَّر في فنون الأدب من نثر ،
وشعر ، وخطابة . بعد أن حَضَرَ على أكثر مشاهير
عصره من الاعلام في الفقه ، والفلسفة ، واللغة
والأدب .

شخصيته ومواقفه :

إمتاز بشخصية متكاملة الأبعاد والسجايا ، فمن حافظة قوية ، وحضور بديهة نيرة ، إلى حدة في الذهن ، وصفاء في النفس ؛ فلا حقدَ لَدِيهِ ولا ضغينة ، بل عفو عن الإساءة عند المقدرة ، وأخذ بالرأي السديد عند الحاجة .

كان يرى أنَّ النجاح في الحياة ، وبلوغ الهدف المنشود ، حاصلٌ لا محالة ، لمن سلك السبيل السوي ، ولمن اهتدى إلى الصراط المستقيم .

وإلى جانب ذلك كان للمغفور له ، مواقفٌ نضالية ، تبلورت في جهاده ضد المستعمرين ، وتصديه للفتن المذهبية التي كانت تتأجج هنا وهناك^(١) ، وتبنيه قولاً ، للثورات الوطنية الحقّة .^(٢) أمّا مواقفه النضالية في الدفاع عن فلسطين فلا حدود لها . هذا بالإضافة الى أسفار ، ورحلات ، وأدوار بارزة في المؤتمرات والندوات التي كانت تتوخم تحقيق سعادة الإنسان في الدارين : الدنيا والآخرة .

(١) انبرى لإخماد الفتنة التي افتعلها عبد الرزاق الحصان بإصداره كتاب « العروبة في الميزان » الذي طعن فيه العلويين وشيعتهم .

(٢) اشترك في الثورة الوطنية لعام ١٩٣٥ .

وفاته :

انتقل المغفور له ، الى رحمة ربّه ، فجر الاثنين في ١٨ ذي القعدة عام ١٣٧٣ هـ . (١٩ تموز ١٩٥٤ م .) في كرند ، ونقل الى النجف الأشرف ، ودفن في وادي السلام ، في مقبرة خاصة به .

ميزة أدبه ومؤلفاته :

تأثر بالقرآن الكريم ، ونهج البلاغة ، وآثار البلغاء من الكتاب وقد ظهر ذلك التأثير بوضوح في نشره لجهة البلاغة والبيان ، ومتانة السبك ، وحسن اللفظ ، ووضوح المعنى .

أما شعره فيحتل المرتبة الأولى من الجودة والإبداع ؛ فهو يجمع بين الجزالة ، ورقة الشعور ، وسمو الخيال ، وعذوبة التعبير . وقد ترك لنا مؤلفات عديدة ؛ (حوالي ٦٧ مؤلفاً ورد ذكرها مفصلاً في جنة المأوى صفحة ٤٨ - ٥١ طبع دار الأضواء سنة ١٩٨٨) منها ما هو مطبوع ، ومنها ما زال مخطوطاً ..

أ - المؤلفات المطبوعة :

١ - الدين والإسلام - جزءان

٢ - أصل الشيعة وأصولها

- ٣ - المراجعات الريحانية - جزءان
- ٤ - الآيات البينات
- ٥ - التوضيح في الرد على النصارى - جزءان .
- ٦ - الفردوس الأعلى .
- ٧ - مبادئ الإيمان في الدروس الدينية .
- ٨ - جنة المأوى .
- ٩ - نبذة من السياسة الحسينية .
- ١٠ - الميثاق العربي الوطني .
- ١١ - المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون .
- ١٢ - المجاورة بين سفيرين .
- ١٣ - خطبة الاتحاد والإقتصاد في الكوفة .
- ١٤ - الخطبة التاريخية في القدس .
- ١٥ - الخطب الأربع .
- ١٦ - خطبة الباكستان
- ١٧ - حاشية على التبصرة .
- ١٨ - سؤال وجواب .
- ١٩ - وجيزة الأحكام .
- ٢٠ - حاشية على سفينة النجاة .
- ٢١ - زاد المقلدين - بالفارسية -
- ٢٢ - مناسك الحج - بالعربية والفارسية -
- ٢٣ - حاشية على العروة الوثقى .

٢٤ - تحرير المجلة - خمسة مجلدات .

٢٥ - الأرض والتربة الحسينية .

- ب - المؤلفات المخطوطة .

١ - الدين والإسلام - الجزء الثالث .

٢ - حاشية على كتاب الأسفار لملا صدر الدين .

٣ - حاشية على العرشية ورسالة الوجود لملا صدر الدين .

٤ - شرح العروة الوثقى في الفقه - أربعة مجلدات .

٥ - حاشية على مكاسب الشيخ مرتضى الأنصاري .

٦ - مجموعة الفتاوى .

٧ - تنقيح الأصول .

٨ - حاشية على الكفاية .

٩ - حاشية على القوانين .

١٠ - رسالة في الجمع بين الأحكام الظاهرية والواقعية .

١١ - مغني الغواني عن الأغاني - مختصر كتاب الأغاني .

١٢ - ديوان الشعر .

١٣ - نهضة السفر ونزهة السحر - رحلته الأولى الى سوريا ومضر .

١٤ - حاشية على كتاب الوجيز في تفسير القرآن العزيز .

١٥ - مجموعتان من المنتخبات الشعرية .

١٦ - ترجمة حياته مفصلة بقلمه بعنوان « عقود حياتي » مفقود .

١٧ - تقريب كتاب : فارس هيئة .

١٨ - تقريب كتاب : حجة الشهادة .

١٩ - العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية - في تاريخ عائلة آل كاشف الغطاء .

والمؤلف الذي نقدّمه للقراء الكرام ، من أعمال شيخنا الجليل وهو كتاب لا غنى للناشئة المؤمنة ، عن التزوّد بما حوى بين دفتيه من الأفكار السامية ، والنصائح السديدة التي لا بدّ منها ، لتكوين الشخصية الإسلامية المثلى .

والله ولي التوفيق

دار الأضواء

بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة نجل المؤلف

كان المرحوم الفقيد الوالد حجة الإسلام الإمام محمد الحسين آل كاشف الغطاء طاب ثراه ، قد ألف كتاباً مبسّطاً موجزاً لطلاب المدارس في أصول الدين وفروعه سماه (الدروس الدينية) ونظراً لحاجة الناشئة والملا لهذا النوع من الكتب رأيت نشره . وإتماماً للفائدة أضفت الى أصل الكتاب مواضيع هامة وواضحة من كتب أخرى للفقيد . وكتبت بقلمى مقدمتين للكتاب أملاً في إفادة القارئ والتمهيد للكتاب وسميته (مبادئ الإيمان) لموافقته لأبحاث الكتاب ومن الله نسأل التوفيق للسداد والصواب .

مدرسة الإمام كاشف الغطاء

النجف الأشرف

٣٠ ربيع الأول ١٣٧٨

١٤ تشرين الأول ١٩٥٨

عبد الحلیم آل كاشف الغطاء

دعوة الى الإيمان

يسود القلق العالم في العصر الحاضر لأسباب كثيرة كالضوضاء وإزدحام السكان والحرب والفقر والتنافس والنزاع القومي والطبقي وغير ذلك . ويسود القلق المجتمع الشرقي بصورة أشد ، بسبب الانحلال الخلقي الذي يسوده بالإضافة الى العوامل الأخرى المختلفة .

وهذا الانحلال الخلقي وإن كان من أسبابه الفقر والجهل والتأخر ، ولكن السبب الأساسي له الشك الذي نتج عن ضعف الوازع الديني في الشرق ، ذلك الوازع الذي كان يحفز الناس الى النشاط وعمل الخير ويساعد في تنظيم شؤونهم بدون قوة قاهرة .

بما أن العقل الإنساني يمتاز بسموه وشدة التفكير فيه ، وغلبة الفكر على الحس والشهوة والغريزة ، نجد الإنسان المتمدّن في حاجة شديدة إلى الإيمان بفكرة

وعقيدة ، ويتفق جميع علماء النفس والإجتماع على حاجة الإنسان إلى الإيمان بفكرة ، وبدون هذا الإيمان يصبح شخصاً بهيمياً تغلب فيه الشهوة والغريزة على الفكر والمثل والعليا .

ولا مجال هنا لشرح الأسباب التي تبعث الإنسان الى الإيمان .

ولكن أعتقد أن أهم الأسباب هو أن الإنسان عندما يفكر ويعلم أنه غير خالد في هذه الحياة ، يرى بصورة واعية أو غير واعية من الهوان عليه والإحتقار لنفسه ، أن لا يكون لوجوده معنى وغاية ، ويرى أن من الإحترام لنفسه والتقدير لها أن يجعل وجوده نافعاً للآخرين كالشجرة المثمرة . وعندما يساهم الفرد في المجتمع بالعمل النافع للجميع يؤدي عمله ذلك في نفس الوقت إلى التقدم والعمران وتكوين مجتمع أرقى وأفضل في المستقبل ، وبذلك لا يكون وجوده عبثاً بل لغاية سامية أرادها الله منذ الأزل . ﴿ أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ (١) ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٢) ﴿ وابتغ فيما

(١) المؤمنون سورة ٢٣ . آية ١١٥

(٢) الذاريات سورة ٥١ . آية ٥٦ .

آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴿٣﴾
 ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا
 بالصبر﴾ ﴿٤﴾ هو الذي أنزل السكينة في قلوب
 المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴿٥﴾ ﴿ولكن الله
 حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ ﴿٦﴾ وفي القرآن
 الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وأخبار
 أهل بيته نصوص كثيرة تؤكد ضرورة الإيمان أولاً ،
 والعمل الصالح ثانياً . والإنسان يظل في شقاء وتعاسة
 مادام أنانياً يفكر في نفسه ، وما دام يرى أنه مركز
 العالم كما يفكر الأطفال ، ويسعد عندما يخرج من
 إنطوائه وعزلته ، ويعلم أنه خلق للعالم والوجود وأنه
 وسيلة وغاية ، وعندما يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

لا ننكر أن الدين قد ضعف في المجتمع الغربي
 وإن لم يزل ، ولكن نشأت فيه آراء وعقائد
 جديدة ، كونت مجتمعاً مترابطاً ، كالنزعة القومية
 والوطنية والإنسانية والمبدأ الديمقراطي والإشتراكي

(٣) القصص سورة ٢٨ . آية ٧٧ .

(٤) العصر سورة ١٠٣ . الآيات الثلاث .

(٥) الفتح سورة ٤٨ . آية ٤ .

(٦) الحجرات سورة ٤٩ . آية ٧ .

والفلسفات الحديثة المختلفة ، ولا شك أن أقوى الروابط في العصر الحاضر هي الرابطة القومية التي بلغت مع الأسف حد التطرف أحياناً .

والشعوب الشرقية لا تزال تجتاز مرحلة إنتقال وتبلور ، لذلك نجدها متبللة الرأي يسودها الكفر والقلق والإنحلال ، تركت محاسن القديم ومحاسن الحديث وأخذت مساوئ الطريقتين .

والعلاج الناجع لشعوب الشرق هو الإحتفاظ بميزاتها الحسنة والإيمان بعقائدها السليمة بدون جمود وتزمت ، مع إقتباس علوم الغرب وصناعته وأتباعه في عاداته وأخلاقه الحسنة ؛ كالتنظيم والعمل والمثابرة ، وترك عاداته السيئة وتجنب مشاكله الإجتماعية ، فإن العاقل من أتعظ بغيره وإستفاد من تجارب غيره . وإذا تأملنا في الآراء والعقائد الغربية نجد الإسلام الصحيح جامعاً لها قاطبة . فأنصح من حاد عن الإسلام أن يعود إليه ومن آمن به أن يشتد إيمانه ويقوى . ويجب على المسلمين أن يعلموا إن تأخرهم لا يعود الى الإسلام ، بل لأسباب تاريخية ، ولإختلافهم وضعف إيمانهم ، والدليل على ذلك أن الإسلام لم يعقهم في السابق عن التمدن والحضارة .

عبد الحليم آل كاشف الغطاء

الدين والحقيقة

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم
أنه الحق ﴾^(١)

(قرآن كريم)

منذ آلاف السنين بهر الإنسان هذا الوجود بتنوعه
وغموضه وجماله ونظامه . ونظراً لما إمتاز به الإنسان
من مزايا جسمية ومواهب عقلية ، بدأ تارة يحاول أن
يتفهم أسرار الظواهر الطبيعية والأشياء ومنافعها ، كل
ظاهرة وكل شيء منفصلاً عن غيره ، وتارة يحاول أن
يعطي تفسيرات عامة تربط بين الأشياء والظواهر
المختلفة . وبعد مرور آلاف من السنين في البحث
تمكن في الوقت الحاضر أن يتعرف على بعض
الحقائق الجزئية التي إستعان بها لمنفعته ، ولكن لم
يستطع التعمق والوصول إلى الأسرار البعيدة إلا
قليلاً : والأسئلة العامة التي عرضها فلاسفة اليونان

(١) فصلت سورة ٤١ . آية ٥٣ .

الأقدمون لا تزال محل البحث والجدل ، وأهم تلك
الأسئلة العريضة ، كان عن سر الوجود بأجمعه ، أرضه
وسمائه ، وعن الجوهر الذي ينبثق منه الوجود ،
وعمن نظم هذا الكون وأعطاه الجمال ، وعن سرّ
الحياة ، وعن نهاية الكون والحياة وعن سرّ الزمان
والمكان والمادة .

يمكن أن نحصر تراث الإنسان الفكري ، وجميع
أنواع المعارف التي أنتجتها حضارة الإنسان في أربعة
أقسام : الدين والفلسفة والعلم والفن .

بين العلم والفلسفة

العالم يدرس جزءاً محدوداً من الكون ، يأخذ
ظاهرة معينة أو شيئاً معيناً ، ويبحث عن العوامل التي
تؤثر فيها ، ويوضح لنا كيفية حدوث الأشياء
والظواهر ، ويقتصر على الأسباب ، ولا يعني بالعلل
البعيدة . ولا يخبرنا عن الأشياء بذاتها بل يرمز عنها .
ولا يطلب من العالم أن يبيّن الروابط بين أجزاء
الكون ، فهو يجزئ الموجود ويفصل بعضها عن
البعض الآخر ليسهل عليه درسها وملاحظتها . ويعتمد
العالم في الدرجة الأولى للوصول الى المعرفة ، على
الحواس والآلات والمقاييس مع إعمال الفكر

للاستقراء والمقارنة ، ويتنقل من الجزئيات إلى الكليات ، ويصنف المعلومات التي يحصل عليها بالطريقة المذكورة .

هناك حاجة للربط بين جميع الحقائق التي توصل إليها العلماء ، هناك ضرورة للنظر إلى جميع الأشياء الملاحظة ككل واحد .

فمن المعلوم أنَّ الأجزاء في كثير من الأحوال عندما تجتمع تعطي معنى يختلف عن معاني الأجزاء منفردة ؛ مثلاً السيارة تختلف في معناها عن معنى الأجزاء المكوّنة لها . وعندما يتحد عنصر الكلور مع عنصر الصوديوم يركبان ملح الطعام الذي يختلف في خواصه وصفاته عن عنصره ، فعلى الفيلسوف أن يربط إكتشافات العالم مع إلهام الفنان ، وإنفعالات المحب ، وحماسة المصلح الإجتماعي ، والوازع الأخلاقي للرجل العادي ، ليعطي لهذه الأجزاء معنى جديداً يفسر فيه الوجود والحياة . العالم يعتمد في الدرجة الأولى على الحواس ، والفيلسوف يعتمد على التفكير مع إعطاء الحرية التامة للفكر في فرضياته ونظرياته .

منذ أيام اليونان ، إنقسم الفلاسفة الى طائفتين مع

إختلاف في مذاهب كل طائفة : فطائفة ذهبت الى أن المادة هي أصل الكون ، والحياة والعقل ناتج عن تفاعلات المادة وتغيراتها وقالوا : بما أن المادة نستطيع أن ندركها بحواسنا فإليها تعود حقيقة الوجود . أما الطائفة الثانية فلا ترضى بهذا التعليل الناقص غير الدقيق ، وتعتبر الفلاسفة الماديين كمن يفسر الماء بعد الجهد بالماء . وتقول بما أن وجود كل ما نتأمله يستلزم العقل ، فالعقل هو أصل المحسوسات ، والمادة لا تستطيع أن تولد العقل ما لم تكن من جوهر العقل وحقيقته ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه . وكيف جاز للماديين أن يجعلوا الطبيعة قادرة على خلق العقل وجردوها منه ملايين ملايين السنين قبل ظهور الإنسان . فحقيقة الأشياء هي عقلية أو روحية . والظواهر المادية ليست إلا نتيجة للطريقة التي تتخذها الحقيقة الروحية للظهور . أو كما يقول العالم الفيزيائي أدينكتون : (إن الظواهر المادية نتيجة للتجريد أو العزل الذي يلجأ إليه عقلنا في التعرف على الروحية التي تتضمن تلك الظواهر) أي أن الأشياء واحدة في طبيعتها ، ولكن عقلنا يظهرها بمظاهر مختلفة تبعاً للطريقة التي نحسن بها السمع والبصر ، والشم والذوق واللمس وغيرها . أو تختلف

الأشياء في الصفات لا الذات ، كالشكل واللون والكثافة وغيرها من الصفات . أما المذهب الثالث وهو مذهب الشك الذي ينكر الوصول الى الحقيقة فمؤيدوه قليل ، لأن الإنسان يكره الشك الذي يحمله على القلق ويشله ولا يوحى النشاط والحماس .

ولا أريد في هذا المقال أن أُلخص تاريخ الفلسفة ولكن غرضي أن أختصر الأدلة إلى وجود الله وصحة الفلسفة المثالية الروحانية على الإجمال ، ثم أشرح نظرية وحدة الوجود المشهورة متوخياً البساطة والوضوح في التعبير ، لأنني رأيتها حسب فكري ومعلوماتي ، أدق نظرية عن حقيقة الوجود لموافقتها للعلم والدين والفلسفة الحديثة ، والنظريات العلمية الحديثة كالنظرية النسبية « لأينشتين » ونظرية الكم « لبلاك » .

إن الدين لا ينكر على العلم أهمية حقائقه الجزئية ، ولا يمنع الفلاسفة عن الجدل والمناظرة والتفكير ، ولكنه يرى أن الوصول للحقيقة النهائية عن طريق الحس والعقل وحدهما . يؤدي إلى الإلتباس . بالإضافة الى هذين الطريقتين ينبغي أن نستعين بطرق أخرى ، ذات صلة بأعماق النفس الإنسانية وباطن

الفرد ، مثل التنبؤ والنظر الغيبي ، والإلهام ، والوحي الإلهي ، والتجلي ، والبداهة ، والقناعة الذاتية . إن الدين يؤمن إيماناً تاماً عن هذا الطريق ، بأن الله هو أصل الوجود ، وسواء جاءت أبحاث العلماء والفلاسفة مؤيدة له أم لا ؟ فهو لا يكتثر لها ، لأن آراءهم عرضة للتغير والتبدل . يقول الدين : إن العالم بموجوداته المتنوعة من بحار وأنهار وأشجار وجبال وحيوانات ومواد مختلفة ، توحى إلينا بالبداهة ، ولأول وهلة إنها ليست إلا صوراً لحقيقة واحدة هي الله (وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد) . كما أنك تتنبأ عن أخلاق شخص عندما تجتمع به لأول مرة من تفرسك في بريق عينيه وملامح وجهه ، وتصيب في أكثر الأحيان . كذلك من نظرة عاجلة لهذا الوجود نعرف ماهيته وحقيقته . أما إذا أردنا أن نوسوس فإننا نفقد الصواب .

عندما يتأمل الفرد في نفسه ، في تفكيره وإنفعالاته وآماله وآلامه ، وحيويته وغرائزه يجد أنه لا يعبر عن إرادته ، بل عن الإرادة العامة للوجود التي تسيّر كما شاءت . هنالك نواح لا نستطيع أن ندركها عن طريق العلم مثل معرفتنا بنفوسنا ، ومعرفة العدل والجمال ، ومعرفة الفكاكة والمزاح ، ومعرفة أخلاق

شخص آخر ، وإنما نعرفها باللقانة (Intuition) كذلك نعرف الحقيقة النهائية عن هذا الطريق أي الحدس والإلهام .

والفن ذو صلة بالحقيقة الكلية ، فالفنان لا يصور الوجود كما هو ويعبر عنه فحسب ، بل يظهره بشكله الأكمل ويحاول أن يسمو بالحياة ، وينظر الى الأفق البعيد ويتطلع الى المستقبل القادم ، ويسعى إلى تحسين الحياة ويوجهها الى التقدم والكمال . ويعرف أفلاطون الفن بأنه : الكلي ممثلاً في الجزئي . ونحن نتذوق الفن كالموسيقى والغناء والتصوير والشعر والأدب عن طريق اللقانة أيضاً .

في القرن التاسع عشر إنخدع الناس وأصابهم الغرور ، للتقدم والتوسع الذي حصل في مختلف العلوم كالكيمياء والفيزياء ، والأحياء والفلك ، وطبقات الأرض ونشطت لذلك الفلسفة المادية ، وآمن بعض الفلاسفة والعلماء ، مع الأسف ، مثل أرنست هيكل وبخنر وهكسلي وسبنسر ، بالتطور الذي حدث في الأحياء والجمادات كأحسن تفسير للعالم ، مع أن التطور لا يخرج عن مجال العلم ، ويبين لنا فقط الأدوار التي مرت على الأرض والأحياء . وخلاصة

نظرية التطور العضوي أن أصل الأحياء كائنات حية بسيطة تطورت خلال ملايين السنين إلى أحياء راقية معقدة . وكانت بعض الأنواع تنقرض ، وتنشأ أنواع جديدة تختلف عن أصولها لأسباب غير معلومة تماماً في الوقت الحاضر ، وتبقى بعض الأنواع محافظة على وجودها ولكن التطور نفسه يحتاج الى تفسير ، فما سره وما غايته وما نهايته ولا يوضح التطور أصل الوجود ، فما هو الأصل الذي نشأت منه الأشياء ؟ هل هو النور أم الهواء أم الماء أم الهيدروجين أم غيرها ؟ .

والمتمعق في الدين يعرف أن نظرية التطور لا تعارض الدين بل تؤيده . إن نظرية التطور تقول : إن كل شيء في الوجود ، من أشياء وأحياء معرضة دائماً للتغيير ، والدين يقول : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ ^(١) الدين يقول : إن الثبات والخلود لله تعالى شأنه ، والأشياء كلها متغيرة أو فانية . أما أن يكون لها وجود مؤقت في الحاضر ، أو معدومة في الحقيقة ، والوجود لله وحده لا شريك له ، وبقاؤها على حالها أو تغييرها أو فناؤها ورجوعها اليه منوط بإرادته . فالله قد جعل التطور في الطبيعة ،

(١) الرحمن سورة ٥٥ . آية ٢٦ و ٢٧ .

ولو أراد أن يوقف التطور لقدر وفعل ، والطبيعة من الله
وتطورها منه .

نشأة الدين وإثبات الصانع ووجود الله

فالدين لم ينشأ منذ القدم بسبب الخوف
والرجاء ، الخوف من شرور الطبيعة والرجاء من الله
في دفعها ، كما ظن بعض الكتاب والمؤرخين ، ولم
ينشأ لخدع الجماهير وصرفها عن واقعها الإجتماعي
المر ، بل نشأ كالفلسفة والعلم للوصول الى الحقيقة ،
والبحث عنها ، وسار مع العلم والفلسفة دوماً . وما
نجد عند أهل الدين أحياناً من أعمال وطقوس وآراء ،
تتعارض مع الحقيقة بصورة أكيدة ، فهي طارئة على
الدين وليست من جوهره .

وأهم الأدلة على إثبات الصانع ووجود الله ، وأن
الطبيعة المحسوسة ليست أصل الوجود ، ما يأتي :

(١) برهان الخلق : وخلاصته أن كل موجود ،
وكل شيء من مادة وطاقة ، وأحياء ، يتوقف وجوده
على غيره من الموجودات ، وهذا يتوقف على غيره
دون أن نرى ضرورة وجوده لذاته . وهذه الظاهرة في
الأشياء أدت إلى التركيب والتعقيد الشديد في الوجود
وإرتباط الموجودات مع بعضها . فلا بد إذن لهذه
الموجودات من سبب لوجودها ، لا يتوقف وجوده على

وجود آخر ، ويعبر عنه في الفلسفة وعلم الكلام
بواجب الوجود أو الله . أما الأشياء فممكنة الوجود .

(٢) مع ما نلاحظ في الوجود من تنوع وتعقيد ،
وتغير مستمر ، وتحليل يعقبه تركيب ، وتركيب يعقبه
تحليل ، نلاحظ أيضاً أن النظام يسود العالم والتغير
الذي يحدث في الطبيعة في الغالب تغير بطيء ،
والتغير السريع نادر وأقل حدوثاً . فالله يحفظ الوجود
غالباً ويغيره تارة ويفنيه تارة أخرى .

(٣) الجمال يسود العالم ونعيه ونحس به ،
كالنور والألوان الجميلة والأصوات الجميلة وجمال
الطبيعة وجمال الأحياء . والجمال مرتبط بالنظام .

(٤) خوارق العقل الإنساني المتجلية ، في
إكتناه الفكر لأسرار الكون ، وفي الرؤيا الصادقة المنبئة
عن حوادث الغيب ، وفي التنويم المغناطيسي وقراءة
الأفكار ومناجاة الأرواح .

(٥) خوارق الطبيعة التي قام بها الأنبياء
والأولياء ، ويقوم بها بعض المتصوفة في الوقت
الحاضر ، كالمشي على النار ، والمشي على الماء ،
وشفاء الأمراض المستعصية وغيرها .

نظرية وحدة الوجود

أول من قال بهذه النظرية وشرحها ، بعض كهنة الديانة البرهمية الهندية ، وهم أصحاب فلسفة « الويدانت » . وقال بها أصحاب الفلسفة الأفلاطونية الحديثة من فلاسفة اليونان . وأخذها الفلاسفة المسلمون من مصدرها الهندي واليوناني ، وتوسعوا في شرحها أو توصلوا إليها بصورة مستقلة عن فلاسفة الهند واليونان وهو الأرجح . ودعا إليها عدد كبير من الشيعة والسنة ، وخلاصتها : أن الموجودات ، وجميع الأشياء والظواهر : كالمادة ، والطاقة ، والنبات ، والحيوان ، والروح ، والعقل متشابهة في حقيقتها وإن اختلفت في الظاهر ، والواقع المحسوس (الحالة الراهنة) ، فهي متماثلة في الحقيقة والجوهر . ولما كانت حقيقتها واحدة ، ففي عالم الإمكان كل شيء يمكن أن يتحول الى نظيره بالضرورة والتغير ؛ فالبذرة في الواقع والظاهر غير الشجرة التي تنشأ منها ، ولكنها في عالم الإمكان شجرة . فعالم الإمكان أوسع من عالم الواقع بكثير ، ويشمل الماضي والحاضر والمستقبل . أما عالم الواقع فيشمل الحاضر والماضي . وأقدم مثلاً علمياً لتوضيح وتأيد نظرية وحدة الوجود : في السابق كان علماء الكيمياء يُعرفون

العنصر بأنه المادة التي لا يمكن تحليلها الى أبسط منها . ولكن علماء الكيمياء الآن يعلمون أن المادة تتألف من ٩٦ عنصراً ، وبواسطة إطلاق أنواع خاصة من الإشعاع على أي عنصر ، يمكن تحويله إلى عنصر آخر . مثلاً أمكن تحويل النتروجين إلى الأوكسجين ، والبريليوم إلى كربون ، والليثيوم إلى هليوم ، والبلاطين الى ذهب وغير ذلك . والعناصر المشعة ، كاليورانيوم والراديوم ، بمرور الزمن تتحلل إلى عناصر اخرى ، ويعرف العنصر الآن بأنه المادة التي لا يمكن تحليلها الى مادتين أو أكثر بالطرق الاعتيادية . وسابقاً ظنّ العلماء أن المادة لا تفنى ولا تستحدث ، وأنّ المادة منفصلة عن الطاقة . وأثبت العالم أينشتين أن المادة تكافئ الطاقة وأنهما حقيقة واحدة وتتحول إحداهما الى الاخرى(*) .

ونجد ثلاثة تفسيرات لهذه النظرية من ناحية علاقتها بالله :

(*) وقد ذكر الفقيه الوالد قدس سره برهانين عقليين لنظرية وحدة الوجود في الجواب على قول الحكماء (الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد) ونصهما :

١ - ان حضرة الحق سبحانه لا بد أن يكون أحديّ الذات ، أحديّ الصفات فإنه إن لم يكن كذلك يلزم التركيب ، والتركيب ملازم

(١) وحدة الوجود وتعدد الموجود :

من الصعب على الإنسان أن يدرك صلة الله بالموجودات بوضوح عن طريق الحواس والعقل .
ولذلك لا بد من الإجمال وترك التفاصيل . هذا الرأي للنظرية يرى أن الموجودات على اختلافها هي حقائق موجودة لا ريب فيها ، ولكنها حقائق جزئية غير مطلقة أي أنها حقائق متغيرة غير ثابتة على حالة واحدة ، وشكل معين وصفات معينة وإن كانت لا تفنى فناء تاماً والأشياء في حقيقتها لا تخرج عن حقيقة الله لأن الله تعالى حقيقة الوجود . والله يختلف عن الأشياء إختلافاً عظيماً في صفاته ، كما تختلف الموجودات فيما بينها إختلافاً عظيماً . فالإختلاف كبير بين الجماد والنبات ، وبين

للإمكان ؛ والامكان يطارد الوجوب ولا يجتمع معه ، فلو كانت فيه حيثتان متباينتان لكان مركباً . ولو كان مركباً لكان ممكناً . ولو كان ممكناً لم يكن واجباً وهذا خلف .

٢ - إن بين كل علة ومعلول لا بد أن تكون سخرية ومناسبه بمعنى أن تكن بينهما جهة وحيثية وتلك الجهة والحيثية يصدر هذا المعلول من تلك العلة ، فإن لم يكن بينهما السخرية والاقتضاء الخاص يلزم أن يؤثر كل شيء في كل شيء ، ومعروف أنه لولا السخرية بين العلة والمعلول لزم تأثير كل شيء في كل شيء .

النبات والحيوان ، وبين المادّة والطاقة . وإن كانت حقيقتها واحدة والعقل أقرب الأشياء الى الله ، والله غير منفصل عن الوجود ، فالموجودات نشأت من الله والله لم ينفك عنها ولم ينزل عنها ، فهو خالقها وحافظها ومنظمها ومحركها ومغيّرُها ، والله عالم بما يحدث في الوجود ، وقادر عليه ، فيخلق الأشياء والحوادث بالطرق الطبيعية الإعتيادية ، وبطرق خارقة للطبيعة والعادة ، وهي المعجزات . وأحسن تعبير موجز عن هذا التفسير لوحدة الوجود قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : (توحيده تمييزه عن خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة) . وقد قال بنظرية وحدة الوجود وتعدد الموجود كهنة الديانة الهندية الواضعون الأول لهذه النظرية والأئمة الاثنا عشر العلويون عليهم السلام ، وعدد كبير من علماء الإمامية ، منهم : نصير الدين الطوسي ، والعلامة الحلّي ، والسيد حيدر الآملي ، والشيخ ميثم البحراني ، والسيد محمد باقر الداماد ، وصدر الدين الشيرازي ، ومحسن الفيض وعبد الرزاق اللاهيجي . واستصوبها المرحوم الوالد الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، وشرحها شرحاً وافياً في كتاب الدين والإسلام ، وكتاب الفردوس الأعلى ،

واعتبرها متفقة والشرع الحنيف ومؤيدة له .
وقد عبر أحد كهنة فلسفة « الويدانت » الهندية عن
هذه النظرية بما يلي :

هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي
الأساسي ، وان الشمس والقمر وجميع جهات العالم
وجميع العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر
لذلك الوجود المحيط المطلق . إنّ الحياة وجميع
كيفياتها وصفاتها وحركاتها وأعمالها أشكال لتلك القوة
الوحيدة الأصلية .

هذه القوة هي التي أشعلت الشمس ، فهي تتقد
ناراً كحزمة الحطب وتهبنا الحرارة والنور ، وأن
السحاب لا يمطر بل إنما هي تلك العلة الأساسية التي
تمطر بواسطة السحاب . تتقارب الموجودات وتتكاثر
ولكنها العلة الأولى التي لا تزال تتكاثر بواسطتها ، وأن
الجبال والبحار والأنهار والأشجار والنباتات وجواهرها
التي تحمل حياتها ، كل ذلك تفجر من ذلك الروح
المحيط الذي يستقر في سائر الأشياء وفي قلوبنا .
تفقه هذا يا ولدي العزيز واقطع قيود الجهل التي
تقيدك^(١) .

(١) عن مقالة ويدانت في مجلة ثقافة الهند عدد يونيو ١٩٥١ .

وفي القرآن والسنة إشارات كثيرة لهذه النظرية .
وحسب هذا الرأي ، تُعتبر الأشياء موجودات
حقيقية^(٢) ، وحقيقة الله وحقيقتها واحدة وإن اختلفت
في الشدة ، والضعف ، والصفات ، والنوع أو الكم ،
والكيف ، وإن جعلناها مختلفة عن حقيقة الله إختلافاً
تاماً وقعنا في الشرك وتعدد القِدم . والموجودات مع
عدم بقائها وتغيرها لها حظ من الوجود والحقيقة في
الحال ، لأنها تحافظ على بقائها مدة من الزمن ،
ونلاحظها عندما تتغير لا تفنى فناء تاماً بل تتغير من
حالة الى أخرى . ويعتبر هذا التفسير الله أوسع من

(٢) يقصد بكلمة حقيقي أو الحقيقة كل ما هو موجود في الخارج
مستقلاً عن حواس الانسان وفكره أي ضد كل ما هو نفسي أو
خيالي ، وتستعمل للصدق ضد الكذب أي لما حدث أو يحدث
صدقاً . أما الحقيقة المطلقة فلها معنى أدق فهي المخصصة
بما يلي :

- ١ - لا يتوقف وجودها على وجود آخر ، أي قائمة بذاتها .
 - ٢ - لا يتغير إدراكنا لها بتغير الظروف والأحوال والعلاقات ، أي
يكون لها صفة واحدة وكيفية واحدة .
 - ٣ - أن تكون لها كمية ثابتة فلا يتغير مقدارها حسب الظروف
والأحوال .
 - ٤ - أن تكون خالدة أبدية لا تفنى ولا تتغير .
- والأشياء التي لا تتوافر فيها هذه الأمور فهي ليست حقائق مطلقة
بل حقيقة جزئية .

الموجودات وأوسع من العالم كله .

(٢) وحدة الوجود ووحدة الموجود :

الصلة قوية بين الرأي الأول والثاني ، ولا يوجد تعارض واضح بينهما ، والرأي الأول أقرب الى الشرع والعلم . فهو يقول إن الموجودات ، وإن نشأت من الله ، فهي مخلوقات قاصرة تختلف عنه كثيراً ، ومسيرة بإرادة الله . والرأي الثاني يقول بما أن الله لا يحده زمان ولا مكان فلا وجود لغير الله ، وهو يظهر في كل مكان وكل زمان بمظاهر مختلفة . فالوجود والموجود هو الله تعالى ، فكل شيء من الموجودات ليس جزء من الله بل الله بعينه ، وإنما الاختلاف الذي يظهر لنا بين الموجودات إما اختلاف في المظهر الذي يظهر فيه الله ، وإما ناشيء عن عقلنا وحواسنا التي تسبب هذا الاختلاف . والموجودات في الحقيقة غير قاصرة ، وصفات الله كامنة فيها ، ولذلك نشأ منها العقل والروح . وبإمكان الإنسان بالإيمان والتوجه الى الله ، أن يقترب من الله ، وأن يقوم ببعض الكرامات والخوارق .

الرأي الأول يعتبر الموجود مؤلفاً من ذات وصفات . والذات الذي فيه جزء من الله ، والصفات

وهبها الله ، وللشيء وجود في الحال والوقت الحاضر .

أما الرأي الثاني فيقول : إن الموجود مجرد صفات لا غير أظهرها الله ، وليس الموجود جزءاً من الله وليس له وجود في الوقت الحاضر ، وأن المقصود من قوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ﴾^(١) ، فإن في الحال ، لأن المشتق حقيقة في الحال ، مجاز في الإستقبال . والمقصود بكلمة (باطل) في بيت الشاعر لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل
هو العدم في الحال أيضاً ، لا الإستقبال .
ويشبه أصحاب الرأي الثاني الوجود بالبحر ،
والموجودات بأموج البحر . وأصحاب الرأي الأول
يشبهون الموجودات بأجزاء من البحر قد تغيرت عن
أصلها .

وقد عبّر المرحوم الوالد عن الرأي الثاني ، وهو
وحدة الوجود والموجود بما يلي : الوجود واحد
والموجود واحد له ظهورات وتطورات ، يتراءى أنها

(١) الرحمن سورة ٥٥ . آية ٢٦ .

كثيرات ، وليس إلا الذات ومظاهر الأسماء والصفات
وشؤون الجمال والجلال والقهر واللفظ .

وقد عبّر عن هذا الرأي المتصوف الكبير محي
الدين العربي بتغيير كلمة في البيت المشهور :

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد
فقال تدل على أنه عينه وتوصل الى ما هو أصرح
فقال :

سبحان من حجب ناسوته
نور سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه بارزاً
بصورة الأكل والشارب
وعبّر عن ذلك الشاعر الصوفي الشهير ابن
الفارض :

هو الواحد الفرد الكثير بنفسه
وليس سواه إن نظرت بدقة
بدا ظاهراً لكل في الكل بيننا
نشاهده بالعين في كل ذرة
وقال أبو مدين التلمساني :

الله قلْ وذَرِ وما حوى
 إن كنت مرتاداً بلوغ كمال
 فمالكل دون الله (إن حققته)
 عدم على التفصيل والإجمال
 واعلم بأنك والعوالم كلها
 لولاه في محو وفي إضمحلال
 من لا وجود لذاته من ذاته
 فوجوده لولاه عين محال
 والعارفون فنوا به لم يشهدوا
 شيئاً سوى المتكبر المتعال
 ورأوا سواه (على الحقيقة) هالكاً
 في الحال والماضي والإستقبال
 وقال بهذا الرأي مشاهير متصوفة الإسلام ،
 كالجنيد والشبلي ومعروف الكرخي والحلاج والكيلاني
 ومحي الدين العربي . ويقترب من هذا الرأي أصحاب
 الفلسفة الافلاطونية الحديثة ، وفلسفة سبينوزا
 الالمانى ، وبرغسون الفرنسى ، وبركلي الانكليزي ،
 الذي يقول : إن أنغام الكون وكل ما يوثث هذه
 الأرض ، وبالجمله فإن كل هذه الأجسام ، التي تكوّن
 الإطار العظيم للعالم ، ليس لها مادة إلّا في عقلنا . . .
 وطالما أنه لا يمكنني إدراكها بنفسى ، ولا توجد في

عقلي ، فإنها إما لا توجد إطلاقاً أو أنها توجد في عقل روعي أبدي .

وآراء أينشتين قريبة لهذا الرأي ، وسنلخصها على حدة في هذا المقال . وأقول : إن الجمع بين الرأيين والتوفيق بينهما جائز . حسب الرأي الأول يمكن أن يكمن الكل في كل جزء فيتغير بصور مختلفة . وحسب الرأي الثاني الكل يظهر بصور مختلفة متعاقبة غير مقيدة بحدود الزمان والمكان . وينبغي أن لا يتبادر لذهن القارئ الحلول من هذه الآراء ، فإنَّ الحلول الذي يخالف الشرع : أن ينحصر وجود الله في شيء معين ، أو في شخص معين كال المسيح مثلاً ، أو أحد الأئمة . أما الحلول بمعنى أن الله موجود في كل مكان فهو من صفات الكمال لله ويلزم الاعتقاد به .

(٣) الموجود هو الوجود الواجب :

هذا الرأي يعتبر الموجودات هي الوجود الواجب . والعوالم المحسوسة والمعقولة بأجمها تطوراته وتشكلاته . ووجود الله يتمثل في هذه الموجودات . وهذا الرأي وإن كان يقول بوحدة الوجود لكن لا يختلف عن آراء الماديين ، فهو كفر بالله وضلال ، لأنه لا يجعل لله وجوداً مستقلاً قائماً بذاته

مهيماً على الموجودات ومنظماً لها . كما أنه لا يفسر الوجود . فالموجودات إذا كانت حقيقة كاملة ينبغي أن لا يعترها التغير ، وهذا الرأي لا يستطيع أن يفسر سرّ التغير المستمر في الوجود ، ذلك التغير ، الذي لا يتوقف . وإذا كانت الموجودات حقيقة كاملة فمعنى ذلك ؛ إن لم يكن الوجود ثابتاً غير متغير فلا بد أن يأتي وقت يتوقف فيه التغير . والعلم لا يؤيد ذلك .

موجز آراء أينشتين عن الوجود .

تقسم آراء أينشتين عن الوجود إلى ثلاثة أقسام :

(١) النسبية الخاصة . (٢) النسبية العامة .

(٣) المجال الموحد . وسأشرح هذه الآراء بإيجاز لأوضح إتفاق هذه الآراء مع الفلسفة الإسلامية .

(١) النسبية الخاصة :

إن معنى كلمة نسبي (relative) أن وجود أي شيء ، ونوعه ، يرتبط بغيره ويتوقف وجوده على غيره . أي إن كل شيء غير ثابت على حالة واحدة ومتغير في صفاته . وهذا التغير لا يقتصر على النوع والكيف بل يتعدى ذلك الى المقدار والكمية ، فكمية كل شيء غير ثابتة بل متغيرة حسب الظروف والأحوال والعلاقات . وهذا عين ما ذكرناه عن فكرة واجب

الوجود في الدين .

في النسبية الخاصة يبين نسبية الحركة والزمان والمكان والكتلة (المادة) ، فبيّن أن الحركة نسبية ومرتبطة بالظروف لسببين : أولاً ؛ إن الإنسان لا يشعر بالحركة ، فالشخص الذي يجلس في باخرة تسير بسرعة ثابتة في البحر لا يحس بالحركة إذا كان البحر هادئاً ، ويحس بها إذا هاج البحر أو نظر الى الماء . وكل من ركب قطاراً يدرك كيف أن قطاراً متحركاً في الإتجاه المضاد يبدو أسرعاً ، أما إذا كان القطار موازياً للقطار الذي يركبه فإنه يبدو كأنه ساكن لا يتحرك ، والراكب إذا كان قطاره في محل مقفل ، فإنه لا يستطيع أن يعرف حركة قطاره إلا بعد الخروج من المحل المقفل والنظر إلى أشياء ثابتة في الخارج . ثانياً ؛ عند ما نقيس سرعة الجسم نرجع إلى جسم آخر ساكن يتعد عنه الجسم المتحرك .

ولكن كيف نستطيع أن نضبط سرعة الجسم المتحرك ، إذا علمنا أن السكون نسبي ولا يوجد في الكون جسم ساكن سكوناً مطلقاً ؟ فنعتبر الأرض ساكنة عند بحث الأغراض العادية للعلوم بالنسبة للسيارات والطائرات ، ولكن علماء الفلك يدركون أن الأرض

غير ساكنة بل تدور في الفضاء بحركة دورية معقدة ، فإنه بجانب دورانها اليومي حول محورها بسرعة ألف ميل في الساعة ، ودورانها السنوي حول الشمس بسرعة عشرين ميلاً في الثانية . فهي مشغولة بدورات أقل أهمية . والمجموعة الشمسية تتحرك ضمن مجموعة النجوم المحلية بسرعة ١٣ ميلاً في الثانية . ومجموعة النجوم المحلية ، تتحرك داخل المجرة (درب التبانة) بسرعة مئتي ميل في الثانية . والمجرات تتحرك نحو المجرات الخارجية البعيدة بسرعة مائة ميل في الثانية ، والكل في اتجاهات مختلفة .

ويعتبر الزمان والمكان نوعاً من الإلهام ، ويشبهان المدركات الحسية الأخرى كاللون والصوت والشكل والحجم ، وليس حقيقة مطلقة لها وجود في الخارج بل وجودهما ذهني ، ولا يمكن إعتبارهما في المعادلات الرياضية الدقيقة كميتين ثابتتين مثل ثبوت سرعة النور، بل كمية متغيرة ، والمكان نظام للأشياء فإذا لم يوجد جسم لا يوجد مكان . والزمان نظام للحوادث فإذا لم يوجد حادثة لا يوجد زمان . ووضح أن كل ساعة مهما كان نوعها رملية أو ذات بندول أو ساعة جيب ، إذا كانت متحركة تؤخر كلما زادت سرعة

حركتها حتى تقف إذا تحركت بسرعة النور .
والمسطرة تنكمش ويقل طولها في إتجاه حركتها وهذان
المثالان يوضحان نسبة الزمان والمكان .

وكما بين أينشتين أن الزمن والمكان كميتان
نسبيتان ، برهن أن كتلة الجسم نسبة أيضاً وتتغير
حسب حركته فتزداد كلما إزدادت السرعة . والمقصود
بكتلة الجسم هو غير مادة الجسم . والكتلة هي الصفة
التي تقاوم الحركة . وكلما إزدادت مادة الجسم
إزدادت كتلته أي مقاومته للحركة . وعندما تزداد سرعة
الجسم تزداد مقاومته لزيادة السرعة . ومعادلة أينشتين
الدالة على إزدیاد الكتلة مع إزدیاد السرعة من
المعادلات المهمة وهي :

$$K = \frac{K_0}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}}$$

K = كتلة المتحرك بسرعة c
 K_0 = كتلته وهو ساكن أي سرعته صفر .
 v = سرعة الضوء .

وحيث أن كتلة الجسم المتحرك تزداد بإزدیاد
سرعته ، وأن الحركة هي نوع من الطاقة (طاقة
حركية) فإن مقدار الكتلة الزائدة للجسم المتحرك تنتج
من طاقته الزائدة : وبالإختصار فإن للطاقة كتلة . وقد

إستطاع أينشتين إيجاد مقدار الكتلة المعادلة لوحدة الطاقة وقد عبر عنها بالمعادلة :

$$K = \frac{\text{الطاقة}}{\text{ص}^2}$$

$$\text{الطاقة} = K \times \text{ص}^2$$

وذهب إلى أن الذرة لا تتحلل إلى أجزائها المعروفة فحسب ، وهي البروتون والالكترون والنوترون والبوزيرون ، بل تتحلل إلى أبعد من ذلك .

والوحدات النهائية للكون ليست المادة ولا الأثير الذي كان قد إفترضه الماديون بل الحوادث الفضائية الزمانية . والجسم الذي تظهر فيه المادة ليس إلا مجموعة صفات ، وحيث أن الصفات يدركها العقل ، فإن كل الكون الموضوعي المكون من مادة وطاقة وذرات ونجوم لا توجد إلا نتيجة لشعورنا وإدراكنا ، أي أنه عبارة عن صرح من الرموز الإصطلاحية تشكله حواس الإنسان . فكما أن الكلمات ترمز الى الأشياء والمعاني ، فكذلك إحساساتنا رموز الى الحقيقة وليست إدراكاً صحيحاً للحقيقة .

(٢) النسبية العامة :

وفي نظرية النسبية العامة يوضح أن الزمان متصل

مع الفضاء فهو البعد الرابع للجسم . بما أنه لا يوجد جسم ساكن ثابت بصورة مطلقة فلا بد أن يكون الزمان بعداً رابعاً للجسم ، فإن الزمان يتضح في الحركة ، وهي علاقة رياضية بين المسافة والزمن . والزمان يشبه المكان بأنه متصل يمكن تقسيمه الى ما لا نهاية له من الأقسام . فعندما نريد أن نصف أي حادث طبيعي له صلة بالحركة لا يكفي أن نحدد الموضع في الفضاء ، بل ينبغي أن نذكر كيف يتغير الموضع بتغير الزمن . ففي حالة طيران طائرة من بغداد الى القاهرة فإنه يمكن بيان هذه الحالة أو هذا الحادث بأبعاد أربعة ، فإن بيان موضع الطائرة بأبعاد خط الطول والعرض والإرتفاع لا تكفي للدلالة على حركة الطائرة ، ولكن لا بد من البعد الرابع الخاص بالزمن أي لا بد من معرفة تغيرات الموضع بتغير الزمن .

وبعد أن وضح اتصال الزمان مع المكان صحح بعض الأخطاء التي وقع فيها نيوتن ، فشك في أن التوازن بين الجاذبية والقصور الذاتي كان مجرد صدفة من مصادفات الطبيعة والكون . وبين تكافؤ القصور الذاتي والجاذبية الذي ينص على أنه لا سبيل الى التمييز بين الحركة الناتجة من القصور الذاتي كالتعجيل والإصطدام والقوة المركزية الطاردة والحركة الناتجة

من قوة الجاذبية . ورفض الأخذ بالرأي القائل بأن الجاذبية قوة تؤثر على مسافات بعيدة وقال : إن قوة جاذبية الأرض للجسام لا تصل الى أبعد الآفاق في الفضاء .

الفرق بين رأي نيوتن في الجاذبية ورأي أينشتين هو في بيان الفرق بين القصور الذاتي (الإستمرارية) والجاذبية ، ونوضح للقارىء هذا الفرق في الأجسام الساقطة ، فإنه من المعلوم في علم الطبيعة إذا رمينا حجراً من محل مرتفع فإنه تزداد سرعة سقوط الحجر بزيادة الزمن . ويُرجع نيوتن زيادة السرعة (التّعجيل) الى إستمرار تأثير قوة الجاذبية من جهة والى الإستمرارية من جهة أخرى ، فلو كانت قوة الجاذبية موجودة وحدها لاستمر الحجر في السقوط بسرعة منتظمة فقط ، ولكن القصور الذاتي أو الإستمرارية^(١) تجعل الجسم يستمر على سرعته المكتسبة . وبقاء تأثير القوة لا بد أن يزيد في سرعة حركة الجسم إذا كان يسير على خط مستقيم^(٢) .

(١) يعرفها علماء الطبيعة بأنها محاولة الجسم للمحافظة على حالته في السكون والحركة ما لم يؤثر فيه مؤثر .

(٢) تغيير إتجاه حركة الجسم يحتاج الى قوة .

وتعرف القوة في علم الطبيعة بأنها ما يحرك جسمًا ساكنًا أو يوقف جسمًا متحركًا أو يزيد في سرعة الجسم أو يغير إتجاه حركة الجسم أو يغير شكل الجسم ، وتساوي في المعادلة الكتلة في التعجيل .
ق = ك ع .

أما أينشتين فلا يفرض هذا الفرق بين الجاذبية والقصور الذاتي ، ويعتبر الجاذبية جزءاً من القصور الذاتي ، وهما شيء واحد . وظهر في علم الفلك عدة أدلة أيّدت آراء أينشتين عن الجاذبية لا مجال لشرحها . وبما أن الحركة نسبية فقد أزال الفرق بين الحركة المنتظمة والحركة غير المنتظمة ، وقال في نظرية النسبية العامة : (إن قوانين الحياة تنطبق على جميع الأجسام دون إعتبار لحالات حركتها) .

في النسبية العامة لا يعتبر الجاذبية قوة بل هي مجال كالمجال المغناطيسي الكهربائي ، وله صفات مشابهة لذلك المجال ، ويرى أن قوة الجاذبية ما هي إلا جزء من القصور الذاتي^(١) وحركة النجوم والكواكب لا

(١) أوضح اينشتين تكافؤ الجاذبية والقصور الذاتي بعدة أمثلة لطيفة يستطيع أن يفهمها الشخص المثقف ، فراجعها في كتاب (العالم واينشتين) تعريب محمد عاطف البرقوقي ص ٨٢ .

تعتمد على قوة الجاذبية ، وسرعتها المنتظمة لم تنشأ عن التوازن بين قوة الجاذبية (القوة المركزية) والإستمروية (القوة المركزية الطاردة) ، بل تعتمد على قصورها الكامن والمسالك التي تسلكها تحددها الخواص القياسية للفضاء ، وبعبارة أدق تحددها خواص متصل الفضاء والزمن .

ونظرية أينشتين في الجاذبية لها دلالات كونية عميقة ، فهي تبين أن الكون ليس بناء جامداً أو غير قابل للتبدل ، نثرت فيه أجرام مستقلة في فضاء وزمان مستقلين ، بل بالعكس فإنه متصل متجانس وليس بناء ثابتاً بل هو مرن ومتغير ومعرض دائماً للتغير والتبدل ، فأينما وجدت مادة وحركة فإن المتصل يضطرب ويتشوش ، مثله في ذلك مثل سمكة عندما تعوم في البحر تجعل الماء حولها يضطرب ، وكذلك فإن النجوم أو الشهب أو المجرات تحور هندسة الفضاء والزمن عندما تتحرك خلالهما . ولذلك يمكن تشبيه الكون بفقاعة الصابون المتمددة أو (نفاخة الأطفال) فهو محدود ولكنه غير متناه .

(٣) نظرية المجال الموحد

وبين في نظريته عن المجال الموحد أن المادة

تكافئ الطاقة ، وأنّ المجال الكهربائي المغناطيسي ومجال الجاذبية شيء واحد . فالمادة والطاقة والجاذبية حقيقة واحدة لا يختلف بعضها عن بعض إلا كما يختلف الماء السائل عن بخار الماء أو الثلج ، فالمادة طاقة مركزة ، والطاقة مادة متحررة ، والمادة عندما تسير بسرعة النور تصبح طاقة ، وحقيقة الوجود واحدة هي تموج في متصل الفضاء والزمن .

ويظهر للقارئ من ذلك ، التقارب الشديد بين آرائه وآراء فلاسفة التصوف الإسلامي . فأراؤه في النسبية الخاصة عن الحركة والزمن والمكان والكتلة ، مشابهة لنظرية واجب الوجود التي تبين أنّ كل شيء في الوجود مرتبط بغيره ومتوقف على غيره . والوجود القائم بالذات الحي الدائم هو الله . والنظرية الثانية بالطبع أوسع وأعمّ من النسبية الخاصة .

وأراؤه في النسبية العامة والجاذبية العامة تؤيد وجود منظم لهذا الكون ، وتفند مفهوم الجاذبية المؤدي الى إعتبار الكون جامداً ومسخرأً لقوة ذاتية آلية جامدة ، بل يظهر كأنه يخضع لمحرك خارج عنه . ويظهر ذلك في الأمثلة التي يشرحها لتوضيح حقيقة الجاذبية .

وآرائه في المجال الموحد مطابقة تماماً لنظرية وحدة الوجود ، ونظرية وحدة الوجود مؤيدة لوجود الله الواحد الأحد الفرد الصمد . فإن إتفاق الأشياء في حقيقتها ناجم عن علة واحدة وسبب واحد هو الله تعالى ، ولو كانت الأشياء حقائق مطلقة ثابتة لكانت خالدة غير قابلة للتغير . فالكثرة ترجع الى الواحد ، ولولا الكثرة الظاهرة ما عرف الله الواحد ، فهي دلائل لوجوده وآيات بينات ساطعات لنوره الفياض . فالله نور السموات والأرضين .

الأخلاق والتصوف :

يطعن بعض الكتاب في آراء الصوفية بأنها آراء تنطوي على التشاؤم ، ولا تنظر إلى الوجود نظرة تفاؤل ، حيث تجعل الزوال والفناء من صفات الوجود الأساسية . وهذا سوء فهم من الناس ، أو سوء تطبيق من بعض الأتباع . فإن النظرية تمتاز بالشمول والإنطلاق والحرية والتفاؤل . فإن النظرية وإن قالت بزوال الموجودات ، ولكن ما قالت بعدم التجدد وحدوث موجودات جديدة ، أي أنها لم تقل بالفناء المطلق ، بل قالت بالتغير والتجدد أشياء تزول وأشياء تظهر وتحدث . وربما كانت الحوادث الناشئة أفضل من سابقتها . فهي آراء تدعو الى التقدم والتغير إلى

الأفضل لا التغير الى العدم والفناء أو إنقراض الحياة والإنسان . كما أنها حين ترجع الموجودات إلى حقيقة واحدة تفسح أمام الإنسان مجالاً واسعاً من الإمكانيات التي تنفعه وتحقق له الحرية والسعادة ، فيتحرر من قيود الطبيعة ويسيطر عليها ويسخرها لنفعه . وعندما يسيطر على الطبيعة سيطرة واسعة يتحرر من القيود الاجتماعية ، وينصرف الى تهذيب عقله وروحه وأخلاقه ، فتصفو نفسه وتنطلق مواهبه الفطرية وخوارق عقله ، ويقترب من خالقه الذي يكمن في داخله .

ويشرح كتاب (غيتا) للسيد « كرشنا » أخلاق المتصوف فيقول :

إن نشاط العالم يجب أن يستمر في طريقه ، وإن علينا أن نتخلق بالسيره التي من شأنها أن تساهم في تحسين العالم فتتركه خيراً لأبنائنا مما ورثناه عن آبائنا . لنكن مثل أولئك الطيبين الذين يغرسون الأشجار ليأكل ثمارها أبنائهم وأحفادهم . علينا بالسعي لإصلاح الإنسانية بإصلاح أنفسنا لنكون أحسن في المواليد القادمة مما كنا في الحياة السالفة ، على رغم أننا ننسى حياتنا الماضية ولا نعرف شخصياتنا الفائتة . وعلى كل إنسان أن يقوم بواجبه الذي يفرضه عليه مقامه في الهيئة الاجتماعية . فليفعل في ظاهره ما

يفعله سائر الناس من أمور الدنيا . ولكنه يبقى في داخله غير متشبث بها . ليعمل ما يعمل من دون الأثرة وحب الذات . وليحافظ على توازنه العقلي في النجاح والخيبة ، في المنشط والمكروه ، في السراء والضراء . فالذي تطهر نفسه بهذه الطريقة يسهل عليه التقدم في السيرة الحسنة بالمراقبة والعبادة . يجب القيام بالواجبات من دون أن يسمح لعواقبها أن تقلق سكون البال وطمأنينة القلب . والمواظبة على هذا السلوك هي جوهر فلسفة (ويدانت)^(١) .

وهذا المعنى موجود في القرآن والسنة ونهج البلاغة . ويعتبرها متصوفة المسلمين من أصول التصوف . ولكن نقلت هذه الفقرة من الفلسفة الهندية لأنها تعتبر من أصول التصوف القديمة .

والخلاصة أنه يتفق أكثر الفلاسفة القدماء والحديثين في الوقت الحاضر على النقاط التالية :

(١) - إن للوجود سرّاً عميقاً لم يتوصل إليه الإنسان بالتأكيد عن طريق العلم والتجربة . وإن توصل إليه على الإجمال عن طريق البداهة والدين . ويأمل الفلاسفة والعلماء والباحثون أن يقتربوا من هذا

(١) مجلة ثقافة الهند عدد يونيو ١٩٥١ .

السرف فى المستقبل عن طريق تقدم علم الطبيعة وعلم
الفلك والرياضيات وعلوم الحياة وعلم النفس .
وللفقيد الوالد طاب ثراه أبات جميلة فى هذا
المعنى :

إن هذا الوجود بحر ولكن
أين من فى الوجود يسبر قعره
ولهذى الأكوان لب ولكن
ما عرفنا حتى لحاه وقشره
ولهذى الحياة معنى ولكن
علنا بالممات نعرف سره
فهو متيقن من وجود هذا السر ولكن لا يعرف
كنهه .

(٢) - إن للوجود حقيقة واحدة . فهو بسيط
الذات معقد فى ظواهره وصفاته .

(٣) - إن الموجودات مركبة ومعقدة ومترابطة مع
بعضها .

(٤) - إن الموجودات متغيرة دائماً . كل شىء
يتغير من حال الى حال . وأهم حقائق العلوم والحياة
هى الوقائع والأحداث . والعلم يبحث كيف تحدث

الأشياء أي يبحث عن تغير الأشياء . والتغير الذي يسود العالم يشمل التركيب والتحليل ، فتركيب يعقبه تحليل وتحليل يعقبه تركيب ، والله للحكمة ، جعل التغير ضعيفاً بطيئاً في الغالب ، وشديداً سريعاً تارة أخرى .

فالأصالة والثبوت ليست للأشياء والموجودات لأنها متغيرة وفانية . وليست الأصالة للمثل أو الماهية كما رأى أفلاطون ، بل الأصالة للوجود ، وحقيقة الوجود التغير والحوادث والحركة والتموج . ولكن ما سبب هذه الحوادث في الوجود ، إنه الله . فهو خالق الموجودات والمحافظ عليها ومغيرها . والتطور الذي يسود عالم الجماد وعالم الأحياء لا يناقض الدين بل يؤيده لأن الثبوت والخلود لله وحده والأشياء كلها متغيرة .

(٥) - يجب على الفرد الإنساني في سعيه للقيم الرفيعة ، الحق والخير والجمال والمحبة وغيرها - أولاً - أن لا يفصل الفرد نفسه عن الوجود (ويدخل ضمنه الطبيعة) ، ولا يفصل نفسه عن المجتمع الإنساني ، فلا بد من التعاون بين الفرد والمجتمع للوصول الى الحقيقة . فهناك تعامل بين الفرد

والمحيط (طبيعياً كان أو اجتماعياً) . المحيط يؤثر في الفرد والفرد يؤثر في المحيط ، والعقل وسط بينهما ، يستقبل الحوافز ويصدر الأوامر للأعضاء المختلفة . - ثانياً - يجب عليه أن لا يفصل العلم عن العمل فلا يفصل معرفته عن سلوكه الشخصي ونشاطه . ولا يفصل العلم النظري عن العلم التطبيقي ، أي لا يفصل العلم كغاية عن العلم كوسيلة لخدمة الفرد والمجتمع .

النجف الأشرف

عبد الحليم آل كاشف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم تمهيد

أحمد الله على جسيم نعمائه . وعظيم آلائه .
مصلياً على أنبيائه وأصفياه
وبعد

فهذه دروس دينية - أملتيتها لتدرسها الناشئة العربية
التي لا تجد بداً من الدخول في هذه المدارس
الجديدة الموضوعة على الطرز الحديث .

ومعلوم أن الأمة أيّ أمة كانت - لا تبقى حية في
معتك هذه الأكوان ولا تقف في صف الأمم والشعوب
النابهة الذكر - إلا في الإحتفاظ بجنسيتها وقوميتها .
ولا تحفظ ذلك إلا بالتمسك الشديد والعناية بلسانها
وحفظ المستحسن من عاداتها وأخلاقها ودينها . وإلا
فلو أن العرب مثلاً تخلقوا بأخلاق الصين ، وتزويوا
بأزياء الأوروبيين ، أو تدينوا بدين البراهمة والبوذيين ، لم
يكونوا عرباً ولماتت الأمة العربية وذهبت ذهاب أمس

الدابر ، ولأُمّحت من صفحة هذا الوجود كما إمحي
غيرها من الأمم ذات الحُول والطُول كالأشورية
وغيرها ، وأهم ما يُلزم بالأمة للمحافظة على بقاء
جنسيتها وإستبقاء حياتها - المحافظة على لغتها ودينها
فهما للأمة بمنزلة الروح والحياة السارية في العروق .
فالدين روحها واللغة حياتها . وقد أُلقيت هذه الدروس
قياماً بذلك الواجب عسى أن يحس ولدان اليوم ، وهم
رجال الغد بالضرورة الماسّة الى التمسك بدينهم .
والإلتزام بالمهم من أحكام شريعتهم . إذ يصح أن
يقال إنهم هم السبب الوحيد في إستبقاء حياة الأمة
العربية الى الغد وما بعده . وإذا انسلخوا من دينهم ولغتهم
(لا قدر الله) فعلى العرب والعربية السلام ، ناهيك
بما للدين من الفضائل وجمعه لأسباب سعادة الدارين
وفوز الشأتين . وحفظ نظام الهيئة الإجتماعية وكل ما
فيه صلاح النوع والأفراد - الى ما لا يسعه المقام من
سرد فوائده ومزاياه . أخص بذلك دين الإسلام الذي هو
خاتمة الشرائع والأديان - الذي جمع فأوعى ، وأخذ
وما أبقي . وأرجو أن يكون في القدر المودع في هذه
الأوراق من مهمات الدين ، كفاية للمبتدئين . وإن
كان في بعض العبارات إغلاق أو إبهام ، فالمعول
على كفاية المدرسين من أهل الفضل في توضيح

المرام وتلقيح الأفهام ، وإبلاغ الغرض بحسن البيان
للتلاميذ . أحسن الله لهم التوفيق جميعاً .

ولما كان الدين مجموع - إعتقادات . وأعمال .
وأخلاق وضعنا هذا المؤلف على ثلاثة أبواب .

الباب الأول

في العقائد

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ، ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾^(١) .

(تمهيد)

الدين والشريعة والملة والمذهب ، ألفاظ مختلفة ومعانيها متقاربة . ويستعمل معنى كل منها موضع الآخر فتكون جميعاً بمعنى واحد كما تقول دين الإسلام ، وشريعة الإسلام ، وملة الإسلام ، ومذهب الإسلام . والإضافة في الجميع لفظية ، والمعنى دين ، هو الإسلام ، قال تعالى : ﴿إن الدين عند الله

(١) البقرة سورة ٢ . آية ٢٨٥ .

الإسلام^(٢) ومن يعرف اتحاد الدين مع الإسلام
 كإتحاده مع مرادفاته المتقدمة ،
 ويستعمل الشريعة والملة والمذهب إستعمالاً أخص
 من الدين حيث يراد بها أحكام العبادات والمعاملات
 فقط دون العقائد . أما الإيمان فهو أخص من الدين ،
 كما هو أخص من الإسلام ، فكل مؤمن مسلم ولا
 عكس . فالمسلم من أظهر الاعتقاد بأن لا إله إلا الله
 وإن محمداً رسول الله وشهد بهما - والمؤمن من إعتقد
 بهما قلباً وجرى على مقتضاهما قولاً وعملاً . ويقابل
 المسلم الكافر وهو من لا يشهد الشهادتين . ويقابل
 المؤمن المنافق وهو من يشهد الشهادتين - ويعلم من
 حاله عدم الاعتقاد بهما قلباً . فظهر إن وراء الدين
 أموراً أربعة : الإسلام ، والإيمان ، والكفر ،
 والنفاق . وبذا يستطيع التلميذ أن يجيب عن الأسئلة
 الآتية :

ما الدين ؟ ما الإيمان ؟ ما الكفر ؟ ما النفاق ؟ .

(٢) آل عمران سورة ٣ . آية ١٩ .

الإيمان

تعريفه

الشائع في كلمات العلماء وكتبهم أن الإيمان هو إعتقاد بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان . فالإعتقاد بالجنان معرفة أن الله جل شأنه هو الإله المعبود بالحق ، الخالق لكل ما عداه من الخلق ، واحد لا شريك له في الربوبية ، ولا مثيل له في الوجدانية ، وإن محمداً عبده ورسوله أرسله بما فيه سعادة البشر في الدارين . ويتم هذا بإعتقاد الولاية لأهل بيته والبراءة من عدوهم . أما الإقرار باللسان ، فهو أن يعترف بتلك الأمور ويتخذها ديناً له ونحلة .

وأما العمل بالأركان فالمراد بها الدعائم التي بني عليها الإسلام وبها يكمل الإيمان . ففي أخبارهم عليهم السلام بُني الإسلام على خمسة أشياء : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والولاية . وسئل صادق أهل البيت سلام الله عليهم عن الإيمان الذي لا يسع أحداً جهله ، فقال عليه السلام : شهادة

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَإِنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالْإِقْرَارُ
بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ،
وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَالْوَلَايَةُ لَنَا وَالْبِرَاءَةُ مِنْ عَدَوْنَا ،
وَتَكُونُ مَعَ الصَّدِيقِينَ .

حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ

تلك هي الكلمات الدارجة في تعريف الإيمان ،
ولكنها تعريفات رسمية تشير إلى الحقيقة من بعض
وجوهها لا إلى ذاتها . وحقيقة الإيمان ، من حيث
الشهود والوجدان - أن تكيف^(١) النفس بصفة
اليقين بوجود ذات مقدسة عن كل صفة نقص من
صفات المخلوقين متصفة بكل صفات الكمال والغنى
وبما أن ذلك الوجود يحتاج إليه كل إنسان في آناء
حياته ، ووجوده لأنه العلة فيه ، فهو الشاهد والرقيب
عليه ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت . ويكون
تكيف نفسه بهذه الصفة على نحو تكيفها باليقين بأن
النار محرقة والشمس مشرقة . يستحيل أن يتطرق
الشك إليه ، فضلاً عن التحول والتبدل - كما يستحيل
أن يجري على خلاف مقتضاه ، فيمد يده إلى
النار أو يوقد مصباحاً مع ضوء الشمس . وكذلك مع

(١) تكيف النفس باليقين تصيير اليقين كيفية من كيفية ملكة
من ملكاتها ، بحيث لا تفارقها ولا تنفك عنها مثل ملكة الجود
والشجاعة وأمثالها .

الإيمان الكامل بالله يمتنع أن يرتكب ما يغضبه ، أو يترك ما يوجبه .

وتلك الصفة هي التي يعبر عنها باليقين تارة ، وبالإيمان أخرى ، وبالتقوى ثالثة . وقد جمع كل ذلك بعض أئمة الهدى (ع) في كلمتين حيث قال : التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

الإيمان الصحيح .

الإيمان مراتب ودرجات لا حد لها في النهاية ، وأول درجاته في البداية ، السكينة والطمأنينة التي تهبط على القلب بأن الإنسان رهين بأعماله مسؤول عنها في محكمة الجزاء بين يدي ربه - تلك السكينة التي تبعث روح النشاط الى العمل . وتنفض غبار الخمول والكسل . تلك السكينة الروحية هي الإيمان الذي أراده الله جل شأنه لعباده ، وبعث به الأنبياء والرسل حياة للنفوس ، وتعزيزاً للشعوب ، وتوسيعاً في العلوم - لا الذي يخنق المشاعر ويقتل النفوس . ويميت العزائم تحت نير الجهل والذلة^(١) .

(١) لقد دفع المؤلف بهذا البيان الطعن الذي يقول به الملحدون ، بأن الدين يبعث الى الكسل وترك العمل وتخدير الجماهير

أول درجات الإيمان أن تخضع النفس وتدعن للقوة المدبرة التي هي مصدر كل القوى ، ويعرف أنها ربطت المسببات بأسبابها وأمرت بأن تؤتي البيوت من أبوابها . وأنها قدرت لكل عامل جزاء عمله ، وأن أجره بمقدار سعيه ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى .
وحينئذ يجري لطلب الغايات الشريفة من مسالكها المشروعة ثابت الجأش مطمئن القلب غير متكاسل ولا متوانٍ ، معتمداً على تلك القوة المدبرة والعناية الكبرى التي كان من بعض ألطافها أن أرسلت الى البشر مبشرين ومنذرين ، يوضحون السبل ويكشفون الحجب ، ويدلون على المهالك والمهاوي . وعززتهم بالكتب الإلهية ، والأرواح اللطيفة العلوية (الموسومون)^(١) بأسم الملائكة . والغاية من كل هذا الإهتمام تسهيل طرق البشر للوصول الى سعادة هذه الحياة وما بعدها من الحياة الأبدية والسعادة السرمدية ، التي هي عبارة عن إنتهاء الى علم لا جهل معه وغنى لا فقر فيه ، وحياة لا موت بعدها ، وصفاء عيش لا كدر معه .

= وصرفها عن المطالبة بحقوقها . وهي نقطة هامة انتبه اليها المؤلف .

(١) كذا في الأصل .

هذه هي خلاصة معنى الإيمان بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر . وبما ذكر يتضح لك أيضاً
الصحيح من معنى الإيمان بالقدر ، فتدبره جيداً .

إثبات الصانع

يجب معرفة الصانع ، يعني تحصيل العلم بأن للعالم صانعاً ، ويجب أيضاً معرفة صفاته ، كتوحيده وقدرته وعلمه ونظائرها حسب الطاقة البشرية . والدليل على هذا الوجوب ، بعد إجماع كافة الملل ، عقلي وسمعي . أما العقلي فمن وجهين :

(الأول)

قاعدة دفع الضرر المحتمل : فإن الإنسان إذا بلغ سن التمييز، وبلغه أن للناس أدياناً ومذاهب ، وأن لهم معبودات يعبدونها تضر وتنفع ، فلا شك أن يتطرق إليه احتمال الضرر في الدنيا والآخرة إذا لم يسلك طريق المعرفة وتحصيل العلم بمعبوده . ودفع الضرر المحتمل واجب بحكم العقل . ولذا يذم العقلاء من يسلك في سفره طريقاً غير مأمون السلامة ، ومحتمل الهلكة ، بل الضرر في المقام متيقن لأن الشك يوجب الخوف والخوف ضرر فعلي ، لأنه يوجب القلق وسلب الراحة .

(الثاني)

من طريق شكر المنعم : فإن شكر المنعم واجب ، وبيانه أن الإنسان إذا بلغ سن التمييز عرف أنه متمتع بجملة من النعم : أولها وأفضلها نعمة الوجود ، فيلزمه شكر هذه النعمة لإحتمال أن عدم شكرها موجب لزوالها. وشكر المنعم موقوف على معرفته ليكون شكره مناسباً لشأنه وإلا لم يكن شاكراً. والباري تعالى هو الصانع، والموجد منعم ، فيجب معرفته كي يمكن القيام بشكره على ما يناسب شأنه تعالى شأنه . ومن معرفته معرفة أنه حكيم ، ومقتضى حكمته أن يكلف العباد بما فيه صلاحهم ولا يتركهم سدى كالبهائم . فيجب معرفة مبلغ التكاليف ، وهو النبي (صلى الله عليه وآله) وحافظ التكاليف وهو الإمام ، ومعرفة الجزاء للطاعة والمعصية وهو المعاد . وأنه تعالى لا يظلم عباده وهو العدل . وهذه ، بعد معرفة الصانع ، هي العقائد الخمس المعروفة بأصول الدين : (التوحيد) و (العدل) و (النبوة) و (الإمامة) و (المعاد) ، فيجب معرفتها .

أما الدليل السمعي فمن وجهين أيضاً :

(الأول)

قوله تعالى : ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾^(١) والأمر للوجوب .

(الثاني)

أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿إن في خلق السموات والأرض ، وإختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب﴾^(٢) قال النبي (صلى الله عليه وآله) ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتدبرها . ووجه الدلالة أنه صلوات الله عليه ذم من يتلو الآية ولا يتدبرها . والمراد بالتدبر في الآية جزماً هو الإستدلال بالأجرام السماوية ، والحركات الفلكية ، وما في السماوات والأرض من آثار الصنعة ، وعظم القدرة ، الدالة بالضرورة على وجود صانعها ، وباهر قدرته ، وبديع حكمته ، وواسع علمه . فيكون النظر والإستدلال الموجبين للمعرفة والعلم واجباً وهو المطلوب .

ومن هذه الأدلة العقلية والسمعية ظهر لك أن الواجب هو المعرفة عن الدليل والبرهان ، ولا يكفي صرف الإعتقاد الحاصل غالباً من تقليد من الآباء

(١) محمد سورة ٤٧ . آية ١٩ .

(٢) آل عمران سورة ٣ . آية ١٩٠ .

والأمهات ، لأنّ الواجب هو العلم ، والتقليد ليس بعلم . كيف وقد ذم الله سبحانه وتعالى . التقليد في أصول الدين والعقائد حيث قال جل شأنه في ذم الكفار قالوا : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾^(١) . وحث على النظر والاستدلال بقوله تعالى : ﴿إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾^(٢) .

في إثبات الصانع وإثبات توحيده ، لا بد من تمهيد مقدمة (أولاً) وهي أن كل معنى يتصور في الذهن إذا نسبناه الى الوجود الخارجي ، يعني لو فكرنا أنه : هل هو موجود فعلاً أولاً ؟ . وعلى الثاني فهل يقبل الوجود أولاً ؟ وهل وجود ما هو موجود من ذاته أو من غيره ؟ ونرجع فنقول : كل معنى ذهني إذا قسناه الى الوجود ، فإمّا أن يكون نفس ذاته يقتضي أن يكون موجوداً ، أي لو تصورناه مع قطع النظر من كل شيء سوى ذاته لكان موجوداً .

وإمّا أن يكون نفس ذاته يقتضي أن لا يكون موجوداً . وأما أن يكون نفس ذاته فلا يقتضي الوجود

(١) الزخرف سورة ٤٣ . آية ٢٣ .

(٢) الأحقاف سورة ٤٦ . آية ٤ .

كما لا يقتضي العدم ، بل هي في حلق الوسط بين الطرفين لا يقتضي هذا ولا ذاك . فالأول هو واجب الوجود لذاته ، والثاني هو الممتنع أي المستحيل لذاته ، والثالث هو الممكن الذي لا تقتضي ذاته الوجود ولا العدم ، فقد يوجد وقد لا يوجد ، فإن إقتضت علته وجوده وجد وصار موجوداً وواجباً بالغير ، وإن لم توجد علة وجوده أو وجدت علة عدمه كان ممتنعاً بالغير . ومن هنا ظهر أن الواجب تارة يكون واجباً بالذات وهو واجب الوجود ، وتارة واجباً بالغير وهو الممكن الذاتي الذي وجد بوجود علته . وكذلك الممتنع تارة بالذات وهو المستحيل كإجتماع النقيضين ، وتارة بالغير وهو الممكنات الذاتية التي لم تتحقق علة وجودها ، ويمتنع تحقق المعلول بدون العلة . أما الإمكان فلا يكون إلا ذاتياً ولا معنى للإمكان بالغير أصلاً كما يظهر بأدنى تأمل . ثم من أخص لوازم الوجود ومزاياه القدم وإستحالة أن يتطرق اليه العدم . ومن أخص لوازم الإمكان الحدوث أي كونه مسبوقاً بالعدم . يظهر من التأمل مما قدمناه من لوازم الواجب الذاتي أي واجب الوجود ، وإستحالة إجتماع وجوبه الذاتي مع وجوبه الغيري ، لأن الواجب الغيري يمكن أن يرتفع بإرتفاع الغيري ، والواجب

الذاتي يستحيل إرتفاعه على كل تقدير . وبنحو آخر
الواجب الغيري معلول والواجب الذاتي لا علة له .
وكون الشيء معلولاً وغير معلول تناقض . ووجود
الواجب الغيري زائد على ذاته . والواجب الذاتي
وجوده عين ذاته ، وهو بسيط لا تركيب فيه أصلاً ،
وإلا لكان ممكناً لإحتياجه إلى الآخر . والواجب
الغيري مركب من الماهية والوجود . والماهية يمكن
أن تتعدد بتعدد أفرادها . والواجب الذاتي يستحيل
تعددده لأنه لا ماهية له ، ولو كان له ماهية لكان ممكناً
وقد فرضناه واجباً بالذات وهذا خلف .

ومن كل هذا ظهر لك أن الممكن تتساوى إليه نسبة
الوجود والعدم وليس أحدهما أولى من الآخر ، بل هما
بالنسبة إليه مثل كفتي ميزان . ولو كان أحدهما أولى
به من الآخر ، خرج من معنى الإمكان الذاتي ، وقد
فرضناه ممكناً . ومن جهة تساوي نسبة الطرفين إليه
كان محتاجاً في وجوده الى المؤثر أي العلة ،
ويستحيل الترجيح بلا مرجح ، فوجوده يستند الى
وجود علته ، وعدمه لعدم علة وجوده . وعلة إحتياجه
الى العلة هو إمكانه لا حدوثه؟^(١) . ولذا يحتاج

(١) يقصد في هذه العبارة وما بعدها ان الموجود بعد أن يحدث =

الممكن الموجود في بقاءه إلى العلة كما يحتاج إليها في حدوثه لأن إمكانه لا يزول حتى حين وجوده وبعد حدوثه . فتدبر جيداً .

بعد ما عرفت تلك المبادئ المحكمة والمقدمات المبرهنة نقول في الاستدلال على إثبات الصانع وتوحيده ، إنه لا شك أننا نرى في الخارج موجودات كثيرة ونراها متغيرة ولها حالات مختلفة ، ولا شك أن كل متغير حادث وكل حادث ممكن . إذن فهذه الموجودات ممكنة وكل ممكن يحتاج في وجوده إلى علة ويفتقر إلى سبب ، فإن كانت تلك العلة واجبة الوجود بالذات فلا تفتقر إلى علة بل هي علة العلل وينقطع عندها السؤال وقد ثبت المطلوب . وإلا لزم أن لا يوجد شيء من الممكنات المحسوسة وهو باطل بالضرورة . وإن شئت قلت إن هذه الوجودات الإمكانية معلولة والمعلول يدل على وجود العلة لا محالة . وتلك العلة إن كانت نفس تلك الممكنات أو بعضها لزم الدور ، وإن كانت غيرها نقلنا الكلام

= يبقى ممكناً ولا يكتسب صفة الوجود بعد حدوثه ، ويحتاج إلى العلة لبقائه بعد حدوثه كما احتاجها قبل حدوثه ، أي أنه لا بد أن يتغير أو يزول بعد حدوثه طال أمد بقاءه أم قصر أي يبقى ممكناً .

إليها ، وإن كان واجباً ثبت المطلوب . وإلا لزم التسلسل ، والدور والتسلسل باطلان بالضرورة ، إذن فلا بد من وجود الصانع الذي هو واجب الوجود ولا مجال لإحتمال تعدده ، لما عرفت من أن لازم وجوب الوجود عدم التعدد والإستحالة الأثنينية فيه ، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو جلّت عظمته . ومن هناك يسعك أن تعرف أن الإستدلال من طريقين :

(الأول)

من النظر الى الموجودات والتوصل إلى العلل والأسباب من المعلومات والمسببات وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(١) وهذا نفس ما إستدل به الأعرابي من أن البعرة يدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير . فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، لا يدلان على اللطيف الخبير .

(الثاني)

من النظر في نفس الوجود وتقسيمه الى الواجب والممكن ، والتوصل بهذا الى ضرورة تحقق الواجب

(١) فصلت سورة ٤١ . آية ٥٣ .

جل شأنه وهو المشار اليه بقوله تعالى : ﴿أو لم يكف
بربك أنه على كل شيء شهيد﴾^(١) .

والبحث الثاني بعد الفراغ من إثبات ذاته . إثبات
صفات الواجب ، وصفاته تعالى ثبوتية وهي صفات
الكمال ، وسلبية وهي صفات النقص ، فكل صفة
كمال لا تستلزم نقصاً فهي ثابتة له كالعلم والحياة
والقدرة ، وكل صفة نقص فهي منفية عنه ، كالجهل والعجز
والفقر ونحو ذلك ، وأمها صفات الكمال أي الصفات
الثبوتية

ثمان وإلا فأوصافه الكمالية من جمالية وجلالية لا تعد
ولا تحصى . ونبدأ من صفات الكمال بالقدرة ولازمها
الإختيار . وإنما بدأوا بها لأنها أقرب الى الصنع الذي
تقدم الكلام فيه من جهة إثبات الصانع . أما إثبات أنه
قادر فلأن القدرة صفة كمال ، فلو لم تثبت له ثبت
ضدها وهو العجز وعدم القدرة ، وهو باطل لما عرفت
من أن الوجوب الذاتي يعني واجب الوجود يستحيل
تدخل العدم فيه ، ولو تدخل العدم فيه كان ممكناً ،
وقد ثبت أنه واجب . فلو لم يكن قادراً لكان واجباً
ممكناً ، وهذا محال ، إذن فهو تعالى قادر لا محالة ،

(١) فصلت سورة ٤١ . آية ٥٣ .

وإذا ثبت كونه قادراً ثبت كونه مختاراً .

إذن الاختيار من لوازم القدرة ، بل ببعض الإعتبارات هو عين القدرة . وتوضيح ذلك أن كل أثر يصدر عن مؤثر ، فإما أن يصدر عن قصد وشعور وعلم وإرادة ، وإما أن يترتب عليه ويصدر عنه قهراً من غير إرادة ولا علم كالنار في إحراقها ، والشمس في إشراقها . والأول هو الفاعل المختار ، والثاني هو الفاعل الموجب ، وبينهما فرق ؛ فالأول يمكنه الفعل والترك معاً لأمر واحد ، دون الثاني ، وقد شرحنا صفاته تعالى في الجزء الأول من كتاب الدين والإسلام .

توحيد الصانع والقول بوحدة الوجود

لا ريب أن كل ذي حس ، حتى الحيوان فضلاً عن الإنسان ، يفهم للوجود معنى ، ويميز بين الموجود والمعدوم .

والحكماء بعد أن إتفقوا على أن مفهوم الوجود المأخوذ من جميع الموجودات المتعينة واحد ويعبر عنه بطارد العدم تارة ، وبما يترتب عليه أثر الشيء الخاص به أخرى ، وما أشبه ذلك من العبارات التي هي شرح الأسم والمعرف اللفظي ، لا بيان الكنه والحقيقة .

ولذا قالوا إن الوجود مفهومه من أوضح الأشياء وكنهه في غاية الخفاء . وبعد إتفاقهم على وحدة مفهومه وبداهة تصوره وإستحالة معرفته أو تعريفه بجنس أو فصل^(١) ، إذ هو ليس بجوهر ولا عرض ولا جنس له ولا فصل ، فإنها حدود للماهيات لا للوجود . وإختلفوا في الموجودات الخارجية المتباينة الماهية والحقيقة : كالإنسان والحجر والشجر ، وإن وجودها الخارجي بقطع النظر عن ماهياتها المتباينة ، هل هو حقيقة واحدة كمفهوماتها الذهنية ، أو متباينة كماهياتها الواقعية ؟ فقالت طائفة ، وهم المشاؤون من تلامذة أفلاطون : إنها متباينة كماهياتها^(١) . ولازم هذا أن يكون الوجود عندهم من المشترك اللفظي^(٢) ،

(١) الجنس والفصل اصطلاحان في علم المنطق لتعريف النوع مثلاً عندما نقول (الإنسان حيوان ناطق) فالإنسان نوع والحيوان جنس والناطق فصل .

(١) قال في التعريفات : « الماهية تطلق غالباً على الأمر المتعلق مثل المتعلق من الإنسان وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود والأمر المتعلق من حيث أنه معقول في جواب ما هو سمي ماهية ومن حيث ثبوته في الخارج سمي حقيقة ومن حيث امتيازه عن الاغيار هوية » والماهية تقارب معنى المثل عند أفلاطون .

(٢) المشترك اللفظي مثل كلمة العين الباصرة وينبوع الماء وكفة الميزان وغير ذلك .

وهو موضوع لمعانٍ لا تتناهى ، وكل وجود مباين
للآخر فضلاً عن تباين الحقيقة . وقالت طائفة أخرى
بأنه في الخارج حقيقة واحدة كما هو في الذهن ،
وإطلاق الوجود عليها من المشترك المعنوي لا اللفظي
سواء كانت معروضات الوجود أفراد حقيقة واحدة
كأفراد الإنسان ، أو حقائق مختلفة كأفراد الإنسان
الحجر ، فإن الوجود في الجميع واحد بالنظر الى ذاته
وحقيقته . نعم حقيقة الوجود تختلف مصاديقها في
الشدة والضعف والخفاء والظهور ، ففيها الواجب
القديم الأزلي الذي وجوده بذاته وغناه بنفسه ، وهو علة العلل
ومصدر كل الكائنات . وفيها الوجود الممكن المحتاج في
حدوثه ووجوده إلى الواجب ، فهو واجب بالغير وعلته
واجب بالذات . لكنه مع هذا الاختلاف العظيم والبون
الشاسع ، فنفس طبيعة الوجود فيهما واحدة ، وهي ما
نعبر عنه بالظهور والتحقق وأمثال ذلك . ولهم على
ذلك عدة براهين رصينة أوضحها وأنقحها أن المفهوم
الواحد لا يعقل أن ينتزع من حقائق مختلفة ومعاني
متباينة ليس بينها قدر جامع ووجه مشترك ، وإلا
لبطلت الحكمة وحالت الحقائق وصح إنتزاع كل شيء
من كل شيء .

وهذا المذهب هو الحق الصراح الذي يقيمه

البرهان ويدعمه الوجدان . ووحدة الوجود بهذا المعنى مما لا محيد عنه ، وهي الأساس لأكثر القواعد في العلم الإلهي ، ولا تنافي شيئاً من قواعد الدين وعقائد الإسلام ، بل لا يتم توحيد الحق وحق التوحيد إلا بها . ولذا لما أورد (أبن كمونة) شبهته المشهورة في إمكان وجود الشريك لواجب الوجود : (تعالى الله عن ذلك) . إرتبك أهل الرأي في دفعها بل عجزوا عن الجواب عنها ، حتى قال بعضهم لو بعث الله نبياً في هذا الزمان لم أسأله من المعجزة إلا دفع شبهة أبن كمونة . وفي الحق أنها على ذلك المبني لا مجال لدفعها ، كما أنها على المبني الثاني لا مجال لورودها ، فضلاً عن الحاجة الى دفعها ، وشرح ذلك يحتاج إلى فضل بيان لا يسعه المجال . إنما جل الغرض أن وحدة الوجود بهذا المعنى هي الحق ولا يتم إلا بها وحدانية الحق ، ولا يقدر في هذه الوحدة أن نقول أن واجب الوجود هو الوجود الحقيقي ، ووجود الموجودات الإمكانية وجود مجازي نظراً إلى ضعفها وحاجتها إلى علتها وعدم بقائها ، وإن كانت بحسب الحقيقة وجودات ذات آثار جلى ولها حظها من الوجود ، وهي بالقياس الى وجود الواجب كالعدم .

نعم هناك معنيان آخران لوحدة الوجود :

(أحدهما) أن الوجود في ظرف الخارج والتحقق ليس إلا ذلك الوجود الواجب الأزلي ، وباقي الوجودات الإمكانية كلها أفعاله ، والفعل أثر الفاعل ، ولا وجود له سوى وجود فاعله ، فليس في الدار غيره ديار ، وشعاع النار لا وجود له سوى وجود النار ، ولعل هذا المعنى هو الذي يرمز اليه العرفاء وكبراء التصوف في كلماتهم ، واليه الإشارة بقولهم :

كل ما في الكون وهم أو خيال
أو عكوس في المرايا أو ظلال

وقول آخر :

وما الوجه إلا واحد غير أنه
إذا أنت عدت المرايا تعددا

وعليه يحمل شطحات بعض كبرائهم كقول الحلاج : أنا الحق وما في جبتي إلا الحق . وقول الجنيد : لمن روى له حديث : كان الله ولم يكن معه شيء - الآن كما كان - يعني أن الفعل ليس مع الفاعل بل من الفاعل ، فهو متأخر عنه وقائم به . ولكن لا يصح به أمثال قول القائل : أنا أنت فسبحانك سبحاني . إلا على نظرية أنا من أهوى ومن أهوى أنا . وعلى كل فتلك الكلمات من المبهمات التي لا

توافق بظواهرها ظواهر الشريعة ، وربما تكون لأربابها مقاصد صحيحة والسرائر لله .

(الثاني) إن الموجودات كلها هي الوجود الواجب ، ولكن ليس هو إلا هذه العوالم المحسوسة والمعقولة ، وهي بأجمعها تطوراته وتشكلاته . وهذا هو الكفر المحض والضلال المبين ، وإليه أشار بعض الحكماء الراسخين في أسفاره حيث قال : إن بعض الجهلة من المتصوفين المقلدين الذين لم يحصلوا طريق العلماء العرفاء ولم يبلغوا مقام العرفان ، توهّموا لضعف عقولهم ووهن عقيدتهم وغلبة سلطان الوهم على نفوسهم ، أن لا تحقق بالفعل إلا للذات الأحدية المنعوتة بألسنة العرفاء بمقام الأحدية وغيب الهوية وغيب الغيوب ، مجردة عن المظاهر والمجالي ، بل المتحقق هو عالم الصورة وقواها الروحانية والحسية والله هو الظاهر المجموع لا بدونه^(١) . إلى أن قال :

(١) اعتبار أن الموجودات هي واجب الوجود فيه شيء كثير من التعقيد في المعنى . أحد المعاني أن الموجودات شريكة لله في الثبوت وعدم التغير وهذا ما ينقضه العلم . والآخر أن الله ليس له وجود مستقل عن الموجودات ولا هيمنة له عليها وهذا كفر محض . إذن كيف نشأت الموجودات من العدم ؟ ولماذا تتغير ؟ .

وهذا كفر محض وزندقة صرفة لا يتفوه من له أدنى مرتبة من العلم ، ونسبة هذا الأمر الى أكابر الصوفية ورؤسائهم إفتراء محض وإفك عظيم يتحاشى عن أسرارهم وضمائرهم .

وأقول : إن هذا هو عين قول الماديين والطبيعيين ، وإلا فإنه أخوه غذته أمه بلبانها .

وقد تجلى لك أن لوحدة الوجود ثلاثة معان : صحيح لا ريب فيه ، وباطل لامرية فيه ، ومجمل أمره إلى الله . فالعرفاء قصرُوا نظرهم على مقام الوحدة ، وجهلة الصوفية قصرُوهُ على الكثرة . والحق هو الجمع بين الوحدة والكثرة ، ورد الكثرة الى الوحدة ، ولا ريب أن الكثير أصله الواحد عز شأنه وسطع برهانه^(١) .

(١) ان النبذة الأخيرة هي أحسن خلاصة وتوضيح لنظرية وحدة الوجود .

العدل الإعتقادي (*)

فنقول : ومن الله المعونة أنه قد إتفقت قاطبة المسلمين على إختلاف مذاهبها وأذواقها ومشاربها على إتصاف ذاته تعالى بالعدل في الجملة ، بل ظني أن ذلك مذهب كل من يقول بثبوت الفاعل المختار في المبدأ حتى الأشاعرة ، وجعلهم في مقابلة العدلية إنما هو بإعتبار لازم قولهم ومذهبهم في مسألة أخرى ، كما سيتضح لك ذلك إن شاء الله ، وإلا فهم قائلون بأنه جل شأنه متصف بالعدل منزّه عن الظلم . كيف والكتاب العزيز طافح بذلك على وجه الصراحة والنصوصية بحيث لا يصح من مسلم إنكاره . نعم لهم مذهب يستلزم ذلك لزوماً بتياً ، ويؤدي اليه أداءً بديهياً ، وذلك أنهم أنكروا الحسن والقبح العقليين ، بمعنى أن يكون للعقل حكم بأحد الأمرين على

(*) من كتاب الدين والإسلام ١ ص ١٢٩ .

الأفعال بذواتها وأنفسها، مع قطع النظر عن كونها ملائمة للطبع أو منافرة له بتحصيل غرض أو مصلحة أو دفع مضرة ومفسدة. أو إعتياد عرفي أو إنقياد ديني يوجبان الألفة أو النفرة ، فالأفعال عندهم بالذات . ومع قطع النظر عن تلك الجهات شرع سواء لا تفاوت فيها حسناً وقبحاً ، وفاعلوها لا يختلفون في الإستحقاق مدحاً ولا قدحاً . فلو أن رجلاً أسدى عظيم الإحسان إلى الإنسان ثم احتاج إليه بأهون شيء فقابله بالرد والهوان ، أو القتل والحرمان ، ولم يكن ذلك الفعل مما يعود إلينا أبداً بمنفعة أو مضرة ، وقطعنا النظر عن حكم الديانة بتقبيحه وتحريمه لم نجد فيه عندهم شناعة ، ولا إستغراباً وبشاعة ، وهذا الحكم عندهم سار في أفعال الخالق والمخلوق جميعاً ، سوى أن أفعال المخلوق قد تصير حسنة أو قبيحة بعد تعلق أحكام الديانات بها إيجاباً أو تحريماً ، بخلاف أفعاله المقدسة ، فإنه لا مجال للعقل فيها بتحسين أو تقبيح أبداً . فلو عذب العبد الذي أفنى عمره بالطاعة والعبادة وخلده في جهنم وأنعم على الشقي الذي أهلك العباد وأفسد البلاد بالقتل والظلم وأدخله الجنة ، لم يكن ذلك منه قبيحاً ولا خلافه حسناً ، بل كل ما يفعله ويأمر به هو

الحسن ، وكل ما يتركه أو ينهي عنه فهو القبيح ، لا أنه يفعل ما هو الحسن لحسن ذاتي يدعوه إلى فعله ، أو يترك الشيء لقبح ذاتي يوجب تركه . ومن هنا لزم مقالتهم هذه إنكار كونه تعالى عادلاً بالمعنى الآتي قريباً ، بل صرحوا بإنكاره وجواز أن يدخل النار من أطاعه ، والجنة من عصاه ، قائلين بأن كل ما يفعله هو العدل ، كيف ما كان . وقد خالفهم في ذلك قاطبة العقلاء وضرورة العقول ، وتظاهر في خلافهم والرد عليهم من المسلمين طوائف عرفوا بالعدلية ، وهم كافة مشايخ العرفاء وسادة الصوفية وأساطين الحكمة والفلاسفة الإلهية وقاطبة المعتزلة وجمهور الإمامية وسائر السلفية والظاهرية . ونحن نوضح لك الحقيقة بأجلى بيان ، وذلك أن لكل واحدة من الحواس الظاهرة بالضرورة ملائمت و منافرات من الأفعال الخارجية ، بل سائر الموجودات مما تقع عليه تلك الحواس : فكما أن السمع تلهه أصوات القماري والبلابل بسجعها ، وتؤنسه نغمات الأوتار في تناسب وقعها ، وتزعجه أصوات الحمير وقعاقع الرعد المهول وعواصف الريح وزجل الطبول ، واللمس تلائمه النعومة وتؤلمه الخشونة ، والشم تنعشه روائح المسك وتكمدّه العفونة وهكذا الذوق والبصر ، في مدركاتهما

من الطعوم والصور ، فكما أن لكل واحدة من هذه الحواس منفراً وملائماً ، ومصالحاً ومصادماً ، فكذا لرئيسها وحاكمها ومسيسها ، الذي به صار الإنسان إنساناً ، وإلا فهو بتلك الأمور وحدها لم يكن إلا حيواناً .

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى الى شرف من الإنسان
فلا محالة له منفرات وملائمات ، بضرورة أن له مدركات ومعقولات وإلا فهو معدوم باطل الذات . وما القول بوجوده حينئذ إلا كالقول بالغول والعنقاء وسائر الخرافات . ضرورة أن لا سبيل لنا للإيمان بوجود شيء من القوى الحساسة إلا بظهور آثارها ، إذ كم من واجد لجارحة العين والأذن وهو أعمى أو أصم ، وفاقد لحاسة الشم وهو ذو أنف أشم ، هذا حال النفس وقواها مع أن لها جوارح وأدوات ، وأعواناً وآلات ، ولهذا كانت مجردة في ذاتها ، مادية في فعلها (والنفس في وحدتها كل القوى) فكيف بالعقل وهو المجرد في ذاته وفي فعله^(١) .

(١) يستدل المؤلف على صحة مذهب العدلية بميول الحواس فالسمع يميل الى الأصوات الحسنة مثلاً بغض النظر عن فائدها =

المعاد الجسماني (*)

المهم والمعضل في هذا الموضوع هو تصور كيف يعود هذا الجسم العنصري الذي تعتور عليه الأطوار والأدوار المختلفة المتنوعة التي يتنقل فيها من دور الى دور ، لا يدخل في واحد إلا بعد مفارقة ما قبله ، ولا يتشكل إلا بشكل يباينه ما بعده ، ينشأ جنيئاً ثم طفلاً رضيعاً ثم صبياً وغلماً ، ثم شاباً وكهلاً ، ثم شيخاً وهرماً . فبأي صورة من هذه الصور يبعث وأي جسم من هذه الأجسام يعود ؟ ثم كيف يعود وقد تفرق ورجع كل شيء الى أصله غازاً وتراباً ؟ وكل ما فيه من

= بل لذاتها . والعقل الذي هو سيد الحواس وأرقى منها لا بد أن يميز الحسن من القبيح على وجه العموم وهذا الرأي مع صوابه ، لا ينقض رأي الأشاعرة تماماً لأن رأيهم لا يخلو من صحة ، والحقيقة دائماً ذات وجهين (السلب والایجاب) وقد تكون ذات وجوه أحياناً .

(*) عن الفردوس الأعلى ص ١٦٤ .

عناصر لو جمعت كلها وأعيدت فهو خلق جديد وجسد حادث ، غايته أنه مثل الأول لا عين الأول ، مضافاً الى الشبهات الكثيرة ، كاستحالة اعادة المعدوم وشبهة الأكل والمأكول وغير ذلك ، وحيث ان الاعتقاد بالمعاد روحاً وجسماً يعد من اصول الدين الخمسة أو من دعائم الاسلام الثلاث : التوحيد والنبوة والمعاد . ومهما كان فلا مجال للشك بأن المعاد الجسماني على الإجمال من ضروريات دين الاسلام ، وهل الضروري من الدين إلا ما يكون التدين بذلك الدين مستلزماً للإعتقاد والتدين به ؟ مثلاً وجوب الصلاة من ضروريات دين الإسلام فهل يعقل الإلتزام بدين الإسلام مع عدم الإلتزام بوجوب الصلاة ؟ والتصديق بنبوة النبي عبارة عن التصديق بأن كل ما جاء به حق وهو من الله جل شأنه . وهذا القدر يكفي في الإعتقاد بالمعاد ، ولا حاجة الى اكثر من هذا للخروج من عهدة التكليف الشرعي أو العقل ، ولا يلزم معرفة كيف يعود ومتى يعود وأين يعود ؟ فإن التكليف بمعرفتها تكليف شاق على الخواص ، فكيف على غيرهم فإنه يكاد يكون تكليفاً بما لا يطاق ، والعلم اللازم في أصول الدين لا يقدر فيه الاجمال ، ولا يلزم فيه أن يكون قادراً على البرهنة والاستدلال ، بل

يكفي فيه حصوله من أي سبب كان وعدمه جواز التقليد في أصول الدين يراد منه عدم كفاية الظن ولزوم القطع واليقين لا لزوم إقامة الحجج والبراهين ، والغاية من هذا البيان والغرض الأقصى به انه لا يجب على المكلفين ولا سيما العوام البحث عن كيفية المعاد الجسماني ، بل قد لا يجوز لهم ذلك كسائر قضايا القواعد النظرية والمباحث الحكمية مثل قضية القضاء والقدر والخير والشر والاختيار والجبر وما الى ذلك من المعضلات العويصة ، إذ قد تعلق الشبهة بذهن أحدهم ولا يقدر على التخلص منها ، فيكون من الهالكين كما هلك ابليس اللعين بشبهة « خلقتني من نار وخلقته من طين » . فالأولى بل الاسلام هو الإلتجاء الى العلم الحاصل من النقل من كتاب وسنة واعتبارات يستفاد من مجموعها اليقين بأن المعاد الجسماني مثلاً من أصول الدين ويلتزم به ويقف عند هذا الحد وعلى هذه الجملة والإجمال لا يتجاوزه الى تفاصيل الأحوال . أما الاستدلال عليه كما قد يقال بأنه ممكن عقلاً وقد أخبر به الصادق الأمين ، فيجب تصديقه فهو دليل لا مناعة فيه لدفع الاشكال ، فإن المانع يمنع الصغرى ويدعي انه ممتنع عقلاً ، إما لاستحالة إعادة المعدوم أو لغير ذلك من المحاذير

المعروفة . وحينئذٍ فإذا ورد ما يدل عليه بظاهر الشرع فاللزام تأويله كي لا يعارض النقل دليل العقل ، كما في سائر الظواهر القرآنية مثل يد الله فوق أيديهم والرحمن على العرش الى كثير من أمثالها مما هو ظاهر في التجسيد المستحيل عقلاً . اذاً أليس الأسد والأسعد للإنسان القناعة بالسنة والقرآن وترك البحث والتعمق وطلب التفصيل في كل ما هو من هذا القبيل ؟ ولعل هذا المراد من الكلمة المأثورة^(١) « عليكم بدين العجائز » ، أي إعتقاد الطاعنين أو الطاعنات في السن ، فإن من نشأ على عقيدة وشب

(١) مراد شيخنا الامام دام ظله من كون تلك الكلمة مأثورة هو كونها مأثورة عن بعض السلف لا أنها مأثورة بهذه العبارة عن أحد المعصومين (ع) لأنها ليست من المأثورات عن النبي (ص) أو أهل بيته (ع) ولم يروها أحد من المحدثين بطرق أصحابنا الإمامية أو بطرق أهل السنة في الجوامع الحديثية عنهم صلوات الله عليهم كما حققنا ذلك تفصيلاً في بعض مجاميعنا . وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن أحمد المقدسي في كتابه (تذكرة الموضوعات) ص ٤٠ الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ بمصر (عليكم بدين العجائز ليس له أصل من رواية صحيحة ولا سقيمة إلا لمحمد بن عبد الرحمن البيلماني بغير هذه العبارة له نسخة كان يتهم) . (محمد علي القاضي الطباطبائي) .

وشاب عليها تكون في أقصى مراتب الرسوخ والقوة ولا
تزيله كل الشبهات والتشكيكات عنها ، وان كانت
العقيدة عنده مجردة عن كل دليل بل تلقاها من الآباء
والامهات « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم
مقتدون »^(١) ولعل في الكلمة (العجائز) تلميحاً أيضاً
الى العجز عن إقامة الدليل ، فإن أهل الاستدلال
والصناعات العلمية غالباً أقرب الى التشكيك من
أولئك البسطاء المتصلبين في عقائدهم ، غلطاً كانت
في الواقع أو صواباً ؛ ولذلك كان الأنبياء سلام الله
عليهم يقاسون انواع البلاء واشد العناء في إقناع امتهم
بفساد عقائدهم وإقلاعهم عنها من عبادة الأصنام أو
غيرها . والبساطة في كل شيء أقرب الى البقاء
والدوام من التركيب والإلضمام ، والبساطة أثبت من
المركبات لقبول الأجزاء والانحلال والتفكك . ولعل
هذا هو السبب في جعل الإعتماد في الاعتقاد
بالمعاد ، والجسماني منه خاصة ، على ظواهر الشرع
والأدلة النقلية دون العقلية من بعض أكابر الحكماء
كالشيخ الرئيس ابن سينا (قده) ، حيث قال في المقالة
التاسعة من الهيات الشفاء (فصل في المعاد) ،

(١) الزخرف سورة ٤٣ . آية ٢٣ .

وبالحري أن نحقق هاهنا أحوال النفس الإنسانية إذا
فارقت أبدانها وإنها إلى أي حالة تعود فنقول : يجب
أن يعلم أن المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا
سبيل الى إثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر
النبوة ، وهو الذي للبدن عند البعث ، وخيرات البدن
وشروره معلومة ، وقد بسطت الشريعة الحقبة التي أتانا
بها سيدنا ونبينا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله
عليه وآله حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن ،
ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدقته
النبوة وهما السعادة والشقاوة التي للأنفس . انتهى
محل الحاجة منه .

وعليه فمن حصل له الاعتقاد بالمعاد من الأدلة
السمعية ولم تعرض له فيه شبهة توجب تشكيكه
لرسوخ عقيدته وقوتها ، فقد وفق وأصاب ، وبلغ
النصاب ، ولا ينبغي بل قد لا يجوز له الخوض في
الأدلة العقلية والأصول النظرية ، ولكن من عرضته
الشبهة أو اعتقد بالاستحالة والإمتناع عقلاً ، وأنه لا بد
من تأويل الظواهر الشرعية كي لا يتنافى الشرع مع
العقل ، ويسقط عنده قول المستدل أنه ممكن ، وأخبر
به الصادق الأمين لاندفاعه عنده بما أشرنا اليه قريباً ،
فلا بد حينئذٍ من رفع هذه الدعوى أعني دعوى

الاستحالة والإمتناع ، وإثبات أنه ممكن عقلاً بل واقع ، فاللازم إثبات إمكانه الذاتي وإمكانه الوقوعي إبقاء للأدلة الشرعية على ظواهرها ، وقطع أيدي التأويل عن منيع مقامها .

وحيث أن الحاجة الى النظر في هذه القضية لا بد أن يكون من غير الظواهر النقلية بل من المبادئ العقلية ، فاعلم أولاً أن الأقوال في المعاد أربعة :

(أحدها) إنكاره مطلقاً لا جسماً ولا روحاً ، وهو قول جميع الملاحدة والطبيين الذين ينكرون المبدأ ، فكيف المعاد وهما متلازمان في المفاد وبينهما أقوى مراتب الإتحاد . وإثبات المبدأ يكفي في إبطال هذا القول . راجع الجزء الأول من (الدين والإسلام) تجد فيه لاثبات الصانع ما يغنيك عن غيره ، بأجلى بيان ، وأقوى برهان .

(ثانيها) إثبات المعاد الروحاني فقط ، نظراً الى ان الأرواح مجردة والمجرد باق ، والجسم مركب من عناصر شتى ، وإذا فارقت الروح ، ودخلت في عالم المفارقات انحل هذا المركب ولحق كل عنصر بأصله ، وانعدم وتلاشى ذلك المركب ، وانعدمت تلك الصورة ، والمعدوم يستحيل عوده ، والروح

باقية ، وهي التي تعاد للحساب وانجاز عملية الثواب والعقاب ، ولعل الى هذا الرأي المثالي أو الخيالي يشير المعلم الثاني أبو نصر الفارابي (قده) في أرجوزته التي يقول فيها :

أصبح في بلابلي وأمسي
أمسي كيومي وكيومي أمسي
يا حبذا يوم حلول رمسي
مطلع سعدي ومغيب نحسي
من عرضي يبقي بدار الحس
وجوهر يرقى لدار القدس
وكل جنس لاحق لجنس

ويعني بالعرض ، الجسم التعليمي ، ذا الأبعاد الثلاثة ، والكيفيات الخاصة وهو الذي تتفرق بالموت أجزاءه ، ويلحق كل جزء بأصله من العناصر ، ولم يعلم رأيه أنها تعود أو لا تعود وكيف تعود . وعلى كل فبطلان هذا القول يبتني على منع صيرورة البدن معدوماً بالموت أو بعد الموت كما سيأتي قريباً إن شاء الله .

(ثالثها) القول بالمعاد الجسماني فقط ، وهو

مذهب جميع أهل الظاهر من المسلمين وبعض المتكلمين . وهو لازم كل من أنكر وجود النفس والروح المجردة ، بل أنكر وجود كل مجرد سوى الله (فلا مجرد إلا الله) أما الملائكة ، والعقول ، والنفوس والأرواح ، فكلها أجسام ، غايته أنها تختلف من حيث اللطافة والكثافة والعنصرية والمثالية . يظهر هذا من كلمات عدة من العلماء ولكنني أجلبهم عن ذلك ، وكلماتهم محمولة على غير ما يتراءى منها ، ومغزاها معانٍ أخرى جليلة .

(رابعها) وهو أحقها وأصدقها إثبات المعادين : الجسماني والروحاني . أي معاد هذا الجسد الذي كان في الدنيا بروحه وجسمه ، فيعود للنشر يوم الحشر كما كان ، ويقف للدينونة بين يدي الملك الديان . كما هو ظاهر جميع ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الدالة على رجوع الخلائق الى الله عز شأنه ، والرد على منكري البعث والمعاد لمحض العناد أو الإستبعاد ، أو أخذاً بقضية استحالة إعادة المعدم المرتكزة في الأذهان . وقد رد عليهم الفرقان المحمدي بأنحاء من الأساليب البليغة البالغة إلى أقصى مراتب البلاغة والقوة ، يعرفها من يتلو القرآن بتدبر وامعان . وحيث أن غرضنا المهم من تحرير هذه

الكلمات هو إثبات الإمكان ودفع الإستحالة كي تبقى
ظواهر الأدلة على حالها ، لذلك لم نتعرض لسرد تلك
الآيات النيرات ، واتجهنا الى تلك الوجهة ودحض
تلك الشبهة بأوضح بيان واصح برهان ، ومنه تعالى
نستمد وعلى فضل فيضه نعتمد ، ونقول حيث أن من
الواضح المعلوم بل المحسوس لكل ذي حس ، أن
كل شخص من البشر مركب من جزئين : الجزء
المحسوس وهو البدن العنصري الذي يشاهد بعين
الباصرة ويشغل حيزاً من الفضاء ، وجزء آخر يحس
بالبصيرة ولا تراه عين الباصرة ولكن يقطع كل أحد
بوجود شيء في الإنسان بل والحيوان غير هذا البدن ،
بل هو المصرف والمتصرف في البدن ، ولولاه لكان
هذا البدن جماداً لا حس فيه ولا حركة ولا شعور ولا
إرادة . إذأً فيلزمنا للوصول الى الحقيقة والغاية
المتوخاة ، البحث عن هذين الجزئين ، فإذا عرفنا هما
حق المعرفة فقد عرفنا كل شيء واندفع كل إشكال ان
شاء الله . (واليك البيان) .

يشهد العيان والوجدان وهما فوق كل دليل وبرهان
واليهما منتهى أكثر الأدلة أن هذا البدن المحسوس
الحي المتحرك بالإرادة لا يزال يلبس صورة ويخلعها
وتفاض عليه أخرى ، وهكذا لا تزال تعتور عليه الصور

منذ كان نطفة فعلقه فعظاماً فجنيئاً فمولوداً فريضاً
فغلاماً فشاباً فكهنلاً فشيخاً فميتاً فتراباً ، تكونت النطفة
من تراب ثم عادت الى التراب فهو لا يزال بعد أن
أنشأه باريه من امشاج ليبثليه فجعله سمياً بصيراً إما
شاكراً أو كفوراً في خلع ولبس ﴿ أفبعينا بالخلق الأول
بل هم في لبس من خلق جديد ﴾^(١) يخلع صورة ويلبس
أخرى وينتقل من حال الى حال ومن شكل الى آخر
مريضاً تارة وصحيحاً وهزلاً وسميناً وأبيضاً وأسمرأ ،
وهكذا تعتوره الحالات المختلفة والأطوار المتباينة ،
وفي كل ذلك هو هو لم تتغير ذاته وان تبدلت أحواله
وصفاته ، فهو يوم كان رضيعاً هو يوم صار شيخاً هرمأ
لم تبدل هويته ولم تتغير شخصيته ، بل هناك أصل
محفوظ يحمل كل تلك الأطوار والصور ، وليس
عروضها عليه وزوالها عنه من باب الانقلاب ، فإن
انقلاب الحقائق مستحيل ، فصورة المنوية لم تنقلب
دموية أو علقية ولكن زالت صورة المني وتبدلت بصورة
الدم ، وهكذا فالصورة متعاقبة متبادلة لا متعاقبة
منقلبة ، (إذ صورة لصورة لا تنقلب) . وهذه الصورة
كلها متعاقبة في الزمان لضيق وعائه مجتمعة في وعاء
الدهر لسعته ، والمتفرقات في وعاء الزمان مجتمعات

(١) ق سورة ٥٠ . آية ١٥ .

في وعاء الدهر ، ولا بد من محل حامل وقابل لتلك الصور المتعاقبة ما شئت فسمه مادة أو هيولي أو الأجزاء الأصلية كما في الخبر الآتي إن شاء الله ، وكما أن المادة ثابتة لا تزول فكذاك الصور كلها ثابتة في محلها في كتاب ، لا يضل ربي ولا ينسى ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وقد عرفت في ما مرّ عليك من المباحث أن الشيء لا يقبل ضده ، والموجود لا يصير معدوماً ، والمعدوم لا يصير موجوداً ، وانقلاب الحقائق مستحيل .

ثم أن هذا البدن المحسوس العنصري لا ريب في انه يتحصل من الغذاء وأن أجزائه تتحلل وتبديل ، فهذا الهيكل الجسماني بقوة الحرارة الغريزية التي فيه ، المحركة للقوى الحيوانية العاملة في بنائه وحفظه وتخريبه وتجديده ، كالجاذبة والهاضمة والدافعة والماسكة وغيرها ، لا يزال في هدم وبناء وإتلاف وتعويض ، كما قال شاعرنا الحكيم في بيته المشهور :

(والمتلف الشيء ضامنه)

وقاعدة (المتلف ضامن)

وفي بيان أوضح أن علماء (الفزيولوجيا) علم أعضاء الحيوان ، قد ثبت عندهم تحقيقاً أن كل حركة

تصدر من الإنسان بل ومن الحيوان يلزمها يعني تستوجب احتراق جزء من المادة العضلية والخلايا الجسمية ، وكل فعل إرادي أو عمل فكري لا بد وأن يحصل منه فناء في الأعصاب وإتلاف من خلايا الدماغ ، بحيث لا يمكن لذرة واحدة من المادة أن تصلح مرتين للحياة . ومهما يبدو من الإنسان بل مطلق الحيوان عمل عضلي أو فكري ، فالجزء من المادة الحية التي صرفت لصدور هذا العمل تتلاشى تماماً ثم تأتي مادة جديدة تأخذ محل التالفة وتقوم مقامها في صدور ذلك العمل مرة ثانية ، وحفظ ذلك الهيكل من الإنهيار والدمار ، وهكذا كلما ذهب جزء خلفه آخر خلع ولبس كما قال عز شأنه ﴿ أفعمينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد ﴾ (١) . ويكون قدر هذا الإتلاف بمقدار قوة الظهورات الحيوية والأعمال البدنية ، فكلما اشتد ظهور الحياة وتكثرت مزاولة الأعمال الخارجية إزداد تلف المادة وتعويضها وتجديدها . ومن هنا تجد أرباب الأعمال اليدوية كالبنائين والفلاحين وأضرابهم أقوى أجساماً وأعظم أبداناً بخلاف ذوي الأعمال الفكرية الذين تقل

(١) ق سورة ٥٠ . آية ١٥ .

حركاتهم وتسكن عضلاتهم ، ثم أن هذا التلف الدائم لا يزال يعتوره التعويض المتصل من المادة الحديثة الداخلة في الدم المتكونة من ثلاث دعائم هي دعائم الحياة وأسسها الجوهرية : الهواء والماء والغذاء ، ولو فقد الإنسان واحداً منها ولو بمدة قصيرة هلك وفقدت حياته .

وهذا العمل التجديدي عمل باطني سري لا يظهر في الخارج إلا بعد دقة في الفكر وتعمق في النظر ، ولكن عوامل الإلتلاف ظاهرة للعيان ، يقال عنها أنها ظواهر الحياة وما هي في الحقيقة إلا عوامل الموت ، لأنها لا تتم إلا بإتلاف أجزاء من انسجتنا البدنية وأليافنا العضوية ، فنحن في كل ساعة نموت ونحيا ونقبر وننشر ، حتى تأتينا الموتة الكبرى ونحيا الحياة الأخرى .

إذاً فنحن بناء على ما ذكر ، في وسط تنازع هذين العاملين عامل الأتلاف وعامل التعويض ، يفنى جسمنا ويتجدد في مدار الحياة عدة مرات ، بمعنى أن جسمنا الذي نعيش به من بدء ولادتنا الى منتهى أجلنا في هذه الحياة تفنى جميع أجزائه في كل برهة ، وتحصل أجزاء يتقوم بها هذا الهيكل ، ليس فيها جزء السابقة ،

ولا يمكن تقدير هذه البرهة على التحقيق ، يعني أي مقدار به تتلاشى تلك الأجزاء جميعاً وتتجدد غيرها بموضعها . نعم لا نعلم ذلك ولكن ينسب الى الفيزيولوجي (موليش) أن مدة بقائها ثلاثين يوماً ثم تفنى جميعاً . ونقل عن (فلورنس) أن المدة سبع سنين ، وقد أجرى العلماء المحققون في هذه الأعصر الامتحانات الدقيقة في بعض الحيوانات كالأرانب وغيرها ، فأثبت لهم البحث والتشريح تجدد كل انسجتها بل وحتى عظامها ذرة ذرة في مدة معينة . فكيف يتفق هذا مع ما يرتئيه الماديون ومنكرو النفس المجردة في زعمهم أن الذاكرة قوة تنشأ من اهتزازات فوسفورية تخزن في الخلية العصبية من الدماغ عند وصول التأثيرات الخارجية اليها ؟ نعم كيف يجتمع هذا مع ما تقرّر في الفن وشهد به الإختبار والاعتبار من أن كل ما فينا من الأنسجة والعظام والخلايا العصبية تتلاشى ثم تتجدد بمدة معلومة أقصى ما تتجدد به سبع سنوات ، ولو كانت قوة التذكر والتفكر مادية وقائمة في خلايا الدماغ ، لكان اللازم أن نضطر في كل سبع سنين الى تجديد كل ما علمناه وتعلمناه سابقاً ، والحالة الراهنة المعلومة بالضرورة والوجدان عندنا أنّ سيال المادة المتجدد والمجدد لما يندثر منا

على الإتصال لم يحدث أدنى تغيير في ذاكرتنا ، ولم يطمس أي شعلة من علومنا ومعارفنا ، ولعمري أن هذا لأقوى دليل على وجود قوة فينا مدركة شاعرة مجردة عن المادة باقية بذاتها مستقلة في وجودها بقيومية مبدئها ، محتاجة الى آلاتها المادية في تصرفها ، متحدة معها في أدنى مراتبها . ودثور المادة لا يستوجب دثورها ولا دثور شيء من كمالاتها وملكاتنا ، ولا من مدركاتها ولا من معلوماتها ، كيف لا ؟ ولا تزال تخطر على بالنا في وقت الهرم أمور وقعت لنا أيام الشباب بل أيام الصبا وما قبله ، وكيف كان فإن من الوضوح بمكان أن كل ما فينا يؤيد اثبات شخصيتنا وعدم تغيرها مع تغير وتبدل جميع ذرات أجسادنا .

النبوة

عرفت أن العناية المقدسة لطفت بالبشر فأنزلت كتباً تتكفل بتعريف صوالمهم ، وضارهم ونافعهم . منشورة تلك الكتب على أيدي رسل منه وهم من جنس البشر ، ليألف البشر اليهم ويقتدون بهم ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (١) . وأولئك الرسل من أول الدهر الى اليوم لم يحصهم عدد ضابط على التحقيق ، لكن المذكور منهم في القرآن الكريم بصريح اسمه خمسة وعشرون :

آدم . نوح . ادريس . إبراهيم . إسماعيل .
إسحاق . يعقوب . يوسف . موسى . هرون . داود .
سليمان . صالح . هود . ذو الكفل . لوط .

(١) الجمعة سورة ٦٢ . آية ٢ .

شعيب . أيوب . الياس . يونس . زكريا . يحيى .
اليسع . عيسى . محمد صلوات الله عليه وعلى آله
وعليهم جميعاً .

واولو العزم منهم خمسة أي الذين عمت شرائعهم
كل البشر برهة من الزمن .

وهم : نوح . إبراهيم . موسى . عيسى . محمد
(ص) .

والكتب السماوية أيضاً كثيرة والمذكور منها في
القرآن المجيد خمسة . صحف إبراهيم . تورا
موسى . زبور داود . انجيل عيسى . فرقان محمد
(صلى الله عليه وآله) .

صفة الأنبياء

النبي اعم من الرسول فكل رسول نبي ولا عكس ، لأن الرسول صاحب شريعة وأحكام جديدة ، والنبي يجوز أن يكون داعياً لإتباع شريعة من قبله .

والأنبياء بشر لهم منصب السفارة بين الله وبين عباده ، معصومون بالإختيار عن الكذب ، فهم يقدرّون على الكذب ولكن لا يكذبون ، كما أنهم معصومون عن مخالفة أحكام شريعتهم وعن كل ما يستقبّحه العقل ، فلا يجوز عليهم الكذب ولا الخيانة ولا الظلم ولا الحرص على الدنيا ولا الطمع ، وهكذا كل ما هو من هذا القبيل ، والقول الجامع أنه يلزم في النبي والإمام أن يكون متحلياً بكل فضيلة ، متخلياً عن كل رذيلة .

ومن هذه الدروس يقدر التلميذ أن يجيب عن هذه الأسئلة . ما حقيقة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ؟ ما معنى النبي وما الفرق بينه وبين الرسول ؟

كم عدد الأنبياء المذكورين في القرآن والكتب
المذكورة فيه ؟

ما الذي يلزم في النبي والإمام وما الذي لا يجوز
عليهما ؟

ويحسن تعقيب هذه الدروس بالكلام في مختصر
من ترجمة كل واحد من مشاهير الأنبياء والأئمة سلام
الله عليهم .

آدم

(آدم) أبو البشر ، أول إنسان مشى على سطح
هذه الكرة ، وانتشرت ذراريه عليها . اتفقت أديان
البشر كلها ، ونصت الكتب السماوية بأجمعها أن الله
سبحانه خلق آدم من تراب (أي من هذه الأرض
وعناصرها) خلقاً فجائياً من غير تناسل . ثم بعد أن
نفخ فيه من روحه (أي روح العلم والحياة) ، اسجد
له ملائكته سجود إكرام واعظام لا سجود عبادة ، فكان
محراباً أو قبلة للملائكة .

ثم خلق من فاضل طينته على الصحيح من أخبار
أهل البيت (عليه السلام) زوجه حواء أم البشر ، واليه
الإشارة بقوله تعالى ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ ^(١) وفي

(١) النساء سورة ٤ . آية ١ .

بعض الأخبار انها خلقت من أحد أضلاعه ، (ولعله كناية عن حنو كل من الزوجين على الآخر وأنه ينبغي بل يجب أن يعطف كل منهما على صاحبه انعطاف الأضلاع على ما تحويه) .

والمتيقن من الوحي أن الله سبحانه أسكنه جنة من جنانه العالية . وتنفيذاً لسابق علمه تعالى في أن تعمّر الأرض به وبذريته ، أهبطه بعد المحنة والإبتلاء الى الأرض ، فهبط على بعض جبال الهند وأهبط زوجته في مكان آخر - ثم تلاقيا وعرف كل منهما الآخر على جبل عرفات . ثم ولد لآدم عدة أولاد أولهم هابيل الذي قتله أخوه قابيل ، ثم ندم على ما فعله كما قص الله تعالى قصتهما في سورة الاعراف .

وأجلّ اولاد آدم وأكرمهم على الله (شيث) ومعناه هبة الله ، وهو من كبار الأنبياء ووصي آدم ، ومن ولده وبنات أخيه يافث تناسل البشر . وأقرب الأقوال في عمر آدم أنه عاش من بدء نفخ الروح فيه الى أن مات ما يناهز الألف سنة ، وقيل إنه دفن بغار في جبل أبي قبيس بمكة . وماتت حواء بعده بسنة ودفنت إلى جنبه . وفي بعض أخبار أهل البيت (عليهم السلام) أن نوحاً نقل عظامه قبل الطوفان الى النجف .

نوح

نوح (صفي الله) ابن لمك ينتهي نسبه الى شيث بسبعة آباء ، ولد بعد أن مضى الف وستمائة واثنان وأربعون سنة من هبوط آدم . وبعث بالنبوة وهو ابن أربعمائة وستين سنة . فدعا قومه وكانوا يعبدون الأوثان الى عبادة الحق وكانوا يهزأون به وربما كانوا يخنقونه حتى يغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

وما أتى قرن إلا كان اخبث مما قبله . فلما يئس منهم دعا عليهم فأوحى إليه أن يصنع السفينة من خشب الساج ، فصاروا يسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ، ولما مضى على قيامه بالدعوة مائة وأربعون سنة وتم صنع السفينة ، حمل فيها أولاده الثلاثة سام . وحام . ويافث ونساءهم ، وتخلف ابنه يام فكان من المغرقين . وحمل من كل نوع من الدواب زوجين . وارتفع الماء على أعلى الجبال خمسة عشر ذراعاً وجرت السفينة فيه ، وكان بين فيضه وغيبضه سنة وقيل ستة أشهر . ولما غاض الماء استقرت السفينة على الجودي (جبل بالموصل) . وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمئة وخمسين سنة . وتوفي وهو ابن ألف سنة إلا خمسين

عاماً . واتفق المؤرخون ان التناسل بعد شيث صار من أولاد نوح ، فجميع من على الأرض من البشر ينتهون اليهم : وكان الطوفان بعد ٢٢٤٢ سنة من هبوط آدم ، على أقوى الأقوال .

إبراهيم (عليه السلام)

(خليل الله ابراهيم) بن تارخ وآزر عمه تكفل بتربيته بعد موت ابيه فدعي أباً له ، وكان آزر يصنع الأصنام ويدفعها لإبراهيم لبيعها ، فكان إبراهيم ينادي عليها وهو صغير (من يشتري ما يضره ولا ينفعه) .

ولد ابراهيم ببابل من أرض العراق وملكها نمرود ابن كوش ، فلما فشا أمر إبراهيم في تفنيد قومه في عباداة الأصنام أخذه ذلك الجبار ورماه في نار انجاه الله منها ، فأمن به جمع من قومه وآمنت به ساره بنت عمه وبنت خالته فتزوجها ، وكانت ذات حظ من المال والجمال . ثم ان إبراهيم ومن آمن معه هاجروا الى حران ثم الى مصر ثم الى الشام وأقام بنين الرملة وايليا . وكانت سارة لا تلد فوهبت له جاريتها هاجر فولدت اسماعيل ، وعمر إبراهيم يومئذ ثمانون سنة ، فحزنت سارة فوهب الله لها إسحاق وهي بنت تسعين سنة . وهاجر إبراهيم بهاجر ووولدها اسماعيل

الى مكة فأسكنهم بها وفيها يومئذ قبيلة من العرب
الأولين تسمى جرهم ، فتعرب إسماعيل فسمي العرب
من نسله بالعرب المستعربة واليه يرجع أكثر قبائل
العرب من الجاهلية الى اليوم ، وكان البيت الحرام قد
تهدم بعد الطوفان ، فأمر الله إبراهيم فبناه هو وولده
إسماعيل . وعاش إبراهيم مائة وخمساً وسبعين سنة
بعد موت زوجته سارة وهاجر . وخلفه ولداه إسماعيل
وله اثنا عشر ولداً هم أصول قبائل العرب . وإسحاق
ولده يعقوب ومنه الاسباط الاثنا عشر واليهم ترجع
طوائف بني إسرائيل . وكانت ولادة إبراهيم بعد مضي
الف وثمانين سنة من الطوفان .

وإسرائيل الذي تنتسب اليه عامة بني إسرائيل هو
يعقوب بن إسحاق أبو الاسباط الاثني عشر .

موسى (عليه السلام)

(موسى كليم الله) ابن عمران بن قاهات بن
لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

ولاوي أحد الاسباط الاثني عشر ، وشعب لاوي
شعب كبير في بني إسرائيل ، وكانوا مستعبدين لفراعنة
مصر بعد أن دخلوها أيام يوسف بن يعقوب ، وبقوا في
اسر الإستعباد من بعده الى أن حررهم موسى ،

وكانت مدة استعبادهم ما يناهز مائتي سنة . ولد موسى في مصر لمضي ٢٥٠ سنة من وفاة إبراهيم . وكان فرعون مصر أمر بقتل كل مولود من الاسباط ، فخافت أمه فجعلته في تابوت والقتة في اليم فالتقطته آسيا امرأة فرعون وربته ، ولما كبر وجد يوماً قبطياً يخاصم إسرائيلياً فقتل القبطي دفاعاً عن الإسرائيلي . واشتهر ذلك فخاف وهرب قاصداً مدين ، فاتصل بكبيرها شعيب وهو من الأنبياء على شريعة إبراهيم فتزوج بنته صفورا ، وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنوات ، ثم سار بأهله قاصداً مصر فرأى في بعض الطريق ناراً ، فلما دنا منها رأى نوراً ممتداً الى السماء من شجرة عوسج فخاف فشد الله قلبه ، وسمع الوحي بالنبوة . ثم دخل مصر واجتمع بأخيه هارون وقال له إن الله أرسلنا الى فرعون ، فانطلقا اليه وطلبا منه إطلاق بني إسرائيل على أن يخرجنا بهم من مصر ، فامتنع فأراه الآيات الباهرة من اليد البيضاء والعصا وغيرهما ، وبعد العجز عن المقاومة بالحجة والبرهان أذن لبني إسرائيل بالسير مع موسى ، فلما ساروا ندم فرعون فلحقهم بعسكره واقتحم البحر فغرقوا .

وقصد موسى ان يهاجر بمن معه من بني إسرائيل وكانوا سبعين الفا أو أكثر - مدينة اريحا وهي بلد العمالقة ، فامتنع بنو إسرائيل وقالوا يا موسى ان فيها

قوماً جبارين وإنا لن ندخلها ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . فضلوا في التيه أربعين سنة ، وهناك مات هارون وهو أكبر من موسى بثلاث سنين ، ثم مات بعده بقليل موسى وعمره ١٢٠ سنة ، وقام بعده بالنبوة وتدبير بني إسرائيل وصيه يوشع بن نون وينتهى نسبه الى افرايم بن يوسف بن يعقوب ، وهو الذي حاصر اريحا ببني إسرائيل وفتحها بالسيف واخراجهم من التيه بعد الأربعين سنة ، وبه اتسع ملك بني إسرائيل وصاروا بعده مستقلين يحكمهم ملوك منهم الى أن مزقهم بختنصر وبادهم قتلاً وتشريداً وأحرق جميع نسخ التوراة . وكانت مدة ملكهم الى أن استولى عليهم (بختنصر الملك البابلي) الف سنة .
عيسى (عليه السلام)

(عيسى روح الله) . أمه مريم بنت عمران بن ماثان ، ينتهي نسبه الى رجبم بن سليمان بن داود وأم مريم حنة أخت اليصابات زوجة زكريا أم يحيى المعروف عند النصارى يوحنا المعمدان ، فهو ومريم أولاد خالة . ولما ولدت مريم تكفلها زوج خالتها زكريا ، ولما كبرت أولدت بمشيئة الله عيسى من غير أب في قرية قرب بيت المقدس تسمى (بيت لحم) وكانت خالتها ولدت يحيى قبله بستة أشهر . وانكر قومها ولادتها من غير فعل ، واتهموا به زكريا تارة

فقتلوه ، ويوسف النجار أخرى فشردوه وهو ابن عمها يعقوب ابن ماثان وكان نجاراً وحكيماً فسار بها وبولدها الى مصر وأقاموا هناك اثنتي عشرة سنة ، ثم عادوا الى الشام فنزلوا الناصرة وبها سميت النصارى ولما بلغ ثلاثين سنة بعثه الله رسولاً الى الناس لتكميل شريعة موسى ، وكانت ولادة عيسى في الثالثة والأربعين من ملك اغسطوس الروماني . وبعد أن عمده يحيى بن زكريا في نهر الاردن مات يحيى ، ولذا سمي بالمعمدان . وظهرت لعيسى المعجزات الباهرة فأحيا ميتاً إسمه عازر ، وأبرأ الاكمة والابرص ، وانزلت عليه المائدة ، ولكن يهود عصره لم يحسبوه إلا دجالاً فعزموا على قتله بأمر فيلاطوس ، ولقبه هرودوس الحاكم من قبل الملك (طيباريوس) الذي ملك بعد اغسطوس ، وكانت فلسطين وما يليها يومئذٍ مستعمرة للدولة الرومانية ، وكان الحواريون الملازمون له اثني عشر ، أشهرهم شمعون الصفا وهو بطرس وأرباب الأناجيل الأربعة (مرقس) و (يوحنا) و (لوقا) و (متى) . وعند المسلمين حسبما نطق به القرآن الشريف أن الله سبحانه رفع عيسى الى السماء والقي شبهه على الحوارى الذي دل اليهود عليه وأغراهم بصلبه ، فقبضوا عليه بزعم أنه عيسى وربطوه بحبل وقادوه

والبسوه اكليل الشوك وشهروه في البلد ، ثم صلبوه على الخشب واستوهب يوسف النجار جسده من الحاكم ودفنه . وعند النصارى أن جميع تلك الأحوال جرت على ذات المسيح . وأنه قام من قبره بعد ثلاثة أيام وصعد الى السماء . وعاشت مريم بعده ست سنوات ، وعاش عيسى في الأرض ثلاثاً وثلاثين سنة ونبوته منها ثلاث سنوات . وكان بين مولد المسيح الذي عليه بناء التاريخ المسيحي الى اليوم وبين وفاة موسى الف وسبعمائة سنة تقريباً وبينها وبين الطوفان ٣٣٤٠ وبينها وبين الهجرة التي عليها بناء التاريخ الإسلامي ٦٢٢ .

محمد (صلى الله عليه وآله)

(محمد حبيب الله) أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن مرة بن كعب بن غالب بن فهر بن مالك . ومن فهر تفرعت بطون قريش ، وكل من انتسب اليه فهو قرشي ، وسمي بذلك لأنه جمع أشتات بني فهر حول الحرم فسمي قريشاً أي جامعاً وينتهي عمود نسبه الى عدنان ثم الى اسماعيل .

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن قائلين له أنك كنت تحيي الموتى أفلا تخلص نفسك ؟

كلاب الجد الخامس للنبي (صلى الله عليه وآله) ، ولد عند أكثر المسلمين يوم الثاني عشر من ربيع الأول وعند أكثر الشيعة يوم السابع عشر منه عام الفيل بمكة في شعب ابي طالب . ومات أبوه عبد الله وهو حمل ، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين أو ست ، وكفله جده عبد المطلب ، وتوفي جده وهو ابن ثمان فكفله عمه أبو طالب شقيق أبيه عبد الله لأمه وأبيه .

ولما بلغ من العمر ثلاثة عشرة سنة أخرجه أبو طالب معه في تجارة الى الشام ، فلما كان في بعض الطريق رأى بحيراء الراهب غمامة تظلل النبي^(١) فقال لأبي طالب أرجع بهذا الغلام واحتفظ عليه فسيكون له شأن عظيم .

وكانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب ذات شرف في قريش ولها أموال وتجارة ، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد عرف بالصدق والأمانة حتى صار يسمى محمداً الأمين ، فعرضت على النبي أن يخرج ببضاعة لها الى الشام

(١) ذكر ذلك أكثر المؤرخين منهم أكبر مؤرخ من النصارى أبو الفرج العبري في كتابه (مختصر الدول) المطبوع في بيروت في مطبعة الآباء (اليسوعيين) .

فسافر السفرة الثانية اليها ، وأرسلت معه غلاماً لها يسمى ميسرة ، فربح النبي ورجع الى مكة ، وصار ميسرة يحدث خديجة بما شاهد من كرامات النبي (صلى الله عليه وآله) فرغبت به لما توسمت فيه من الشأن الباذخ ، فكانت أول امرأة تزوجها وهي أول من أسلم من النساء وبقيت معه بعد البعثة عشر سنوات وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين . ثم تزوج بعدها بعشر أو إحدى عشرة امرأة وما اقترن بواحدة منهن إلا لمصلحة سياسية تعود الى نشر الدعوة وتعزيز جانب الإسلام الى مصالح أخرى يضيق المقام عن عددها .

بعثة النبي

ولما بلغ الأربعين من العمر نزل عليه الوحي في الليلة السابعة والعشرين من رجب على الأرجح . وأمره الله سبحانه بدعوة الناس عامة وقريش خاصة الى توحيد الله عز شأنه وخلع عبادة الأوثان ، فقاومته قريش أشد المقاومة . واضطهدته ومن آمن به أسوأ الاضطهاد ، وكان المحامي عنه والناصر له خديجة بالأموال وأبو طالب وأولاده بالمنعة والرجال ، فلما مضى لبعثته عشر سنوات مات أبو طالب وخديجة في عام واحد يسمى عام الأحزان . ولما لم يبق بمكة من

يقدر على كف عادية قريش عنه هاجر الى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة ، وكان قد بايعه سبعون نفرًا من وجوه الأوس والخزرج بمكة سرًا وهي بيعة العقبة ، وهاجر بعده كل من آمن به تدريجاً فصار حزبه بالمدينة قسمين : المهاجرين والأنصار .

فجدت واجتهدت قريش في تعويق مساعيه وإشغاله عن نشر دعوته ، فاضطر الى دفاعهم عن حوزته ف وقعت المحاربة المشهورة معهم في بدر ونصره الله عليهم وهم أقوى عدة وأكثر عدداً ، فقتل وأسر وغنم وما نجا منهم إلا القليل ، وكان أصحاب النبي ٣١٣ وليس معهم غير فرسين ، وكانت قريش زهاء الف وفيهم مائة فرس ، وذلك في ١٧ شهر رمضان السنة الثانية من الهجرة ، ثم تابعت الغزوات والفتوح تترى ، والله سبحانه يزيد الإسلام بها عزاً ونصراً ، الى أن تم له النصر واستقام الأمر بفتح مكة استأمنه أهلها فآمنهم ودخلها صلحاً .

ولما تم له هذا الفتح المبين بعث الدعاة والكتب الى الملوك يدعوهم الى الإسلام ، ولم يحارب إلا من بدأه بالحرب أو نقض عهده ، أو أعان عليه عدوه أو قتل رسوله .

وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)

وكانت آخر غزواته غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة ، حارب بها جيش الروم في حدود الشام ، وكان جيش المسلمين في هذه الغزوة ثلاثين ألفاً والخيـل عشرة آلاف ، وهذا بالإضافة الى غزوة بدر رقي مدهش لم يعهد في التاريخ مثله ولعله من آيات النبوة . وانتهى الأمر في هذه الغزوة إلى الصلح ودفع الجزية . ولما كانت السنة العاشرة من الهجرة صار الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، ونفذت الدعوة الى أقاصي اليمن وتخوم مصر والعراق والشام والبحرين ، وأسلم عامة أهل اليمن وملوك حمير . وحج النبي صلى الله عليه وآله في هذه السنة حجة الوداع ونعيت اليه نفسه بنزول سورة النصر وآية (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)^(١) ودخلت السنة الحادية عشرة ، وفي شهر صفر منها مرض النبي (صلى الله عليه وآله) وأجاب داعي ربه عند أكثر المؤرخين في الثاني عشر من ربيع الأول الموافق ليوم ولادته ، وفي أخبار أهل البيت (عليهم السلام) الثامن والعشرين

(١) المائدة سورة ٥ . آية ٣ .

من شهر صفر ، ودفن تحت فراشه الذي توفي عليه وعمره على الأصح ثلاث وستون سنة وأشهر . وولد له من خديجة القاسم وبه يكنى ، والطيب والطاهر وعبد الله ماتوا صغاراً . وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ولم يبق بعده إلا هي ، ومنها نسله المبارك ، وكانت اعز خلق الله عليه . وولد له من غير خديجة - إبراهيم من مارية القبطية ومات ابن سنتين تقريباً . واختلف في عدد غزوات النبي (صلى الله عليه وآله) بين قائل ١٩ وقائل ٢٧ والمشهور منها الذي وقع فيها القتال تسع : بدر . وأحد . والخندق . وقريظة . والمصطلق . وخيبر . والفتح . وحنين . والطائف . وأما البعوث والسرايا التي لم يحضرها بنفسه فقليل خمس وثلاثون وقيل ثمان وأربعون .

الأئمة الاثنا عشر (عليهم السلام)

عرفت أن من تمتات الإيمان الاعتقاد بإمامة
الأئمة الاثني عشر وعصمتهم من الجرائم صغيرة أو
كبيرة فأولهم :

(١) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه
أبوه ابو طالب كافل رسول الله ومربيه وأخو أبيه
عبد الله لأمه وأبيه وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ،
فهو هاشمي من هاشميين ولد يوم الجمعة ١٣ رجب
في الكعبة بعد مولد رسول الله بثلاثين سنة ، وقبض
شهيداً بسيف ابن ملجم في مسجد الكوفة ليلة ٢١ من
شهر رمضان ، ودفن في النجف سنة ٤٠ هـ وعمره عمر
رسول الله ثلاث وستون سنة .

(٢) ولده الحسن الزكي

أمه سيدة نساء العالمين فاطمة
بنت محمد (صلى الله عليها وسلم) ولد
بالمدينة نصف رمضان سنة اثنتين من الهجرة ، وقيل
ثلاث وقضى مسموماً فيها سابع صفر سنة خمسين
وعمره سبع وأربعون سنة ودفن بالبقيع .

(٣) اخوه الحسين الشهيد

ولد بالمدينة ٣ شعبان سنة ثلاث من الهجرة
وقضى شهيداً في كربلاء عاشر محرم سنة ٦١ وفيها
قبره الشريف وعمره ٥٨ سنة .

(٤) ولده زين العابدين علي بن الحسين . ولد
بالمدينة سنة ٣٨ وقضى فيها يوم السبت اواخر محرم
سنة ٩٥ وعمره ٥٧ سنة وامه شاه زنان بنت يزددجرد
آخر ملوك الأكاسرة .

(٥) ولده محمد الباقر .

ولد بالمدينة ٣ صفر سنة ٥٧ وقضى فيها يوم ٧ ذي
الحجة سنة ١١٤ وامه فاطمة أم عبد الله بنت الحسن
السيط ، فهو علوي من علويين وعمره ٥٧ سنة .

(٦) ولده جعفر الصادق .

ولد بالمدينة ١٧ ربيع الأول سنة ٨٣ وقضى فيها
في شوال سنة ١٤٨ وعمره ٦٥ وامه ام فروة بنت الفقيه
القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وقبره وقبر أبيه وجده
مع عمهم الحسن في البقيع في بقعة واحدة .

(٧) ولده موسى الكاظم .

ولد بالأبواء موضع بين مكة والمدينة سنة ١٢٨
وقضى مسموماً ببغداد في حبس السندي بن شاهك في
٢٥ رجب سنة ١٨١ ودفن في مقابر قريش وامه حميدة

أم ولد .

(٨) ولده علي بن موسى الرضا .

ولد بالمدينة سنة ١٤٨ وقضى مسموماً بطوس وفيها قبره في أواخر صفر سنة ٢٠٣ وأمه أم البنين أم ولد .

(٩) ولده محمد الجواد .

ولد بالمدينة في شهر رمضان سنة ١٩٥ وقبض ببغداد أواخر ذي القعدة سنة ٢٢٠ ودفن مع جده الكاظم في مقابر قریش واه الخيزران أم ولد .

(١٠) ولده علي الهادي .

ولد بالمدينة نصف ذي الحجة سنة ٢١٢ وقبض بسر من رأى ٣ رجب ودفن فيها في داره سنة ٢٥٤ واه سمانة ام ولد وعمره ٤٢ سنة .

(١١) ولده الحسن العسكري .

ولد بالمدينة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٢ وقبض بسر من رأى ٨ شهر ربيع الاول سنة ٢٦٠ ودفن مع أبيه واه حديثه أم ولد .

(١٢) ولده الإمام المنتظر محمد المهدي .

ولد بسر من رأى نصف شعبان سنة ٢٥٦ (نور) واه نرجس احدى بنات ملوك الروم عجل الله فرجه .

الباب الثاني

في الفروع

تمهيد

أهمّ التكاليف الدينية - الصلاة ، فإنّها
عمود الدين ، بمعنى أن الدين يتوقف عليها توقف
الخيمة على العمود ، ولذا ورد في الاخبار الصحيحة
أنه ليس بين المسلم وبين أن يكفر إلا أن يترك
الصلاة . وإن تركها تهاوناً بها على حد الكفر بالله .
ومن بعض فوائدها في العاجلة - انها تنهي عن
الفحشاء والمنكر . وسر ذلك انها تذكر الله تعالى
وعظمته وتبعث في القلب خوفه وخشيته ، وتوضح
للإنسان ضعفه وخسته ، وإذا خضعت النفس وتطمأنت
نزلت عليها السكينة ، واستولت عليها الطمأنينة ،
وتظهرت من لوث الرذائل فلا عجب ولا كبر ولا حرص
ولا حسد ولا شيء من أمثالها ، إذ منشأ كل تلك
الذمائم التي هي مثار الشرور في العالم ، وتكالب بني
آدم ، إنما هو نخوة النفس وطيشها وغفلتها عن خالقها

العظيم وعن مبدئها ومنتهاها ، فإذا استحضرت كل ذلك ذلت ، وإذا ذلت عزت وجلت ، وفي الحديث : (من تواضع رفعه الله ومن تكبر وترفع وضعه الله) . ولو أردنا أن نشرح أكثر فوائد الصلاة وأسرارها ومنافعها في الدنيا فضلاً عما لها من الأجر عند الله تعالى لطلال بنا المقام ، وفي هذا القدر كفاية إن شاء الله .

ننقل بهذه المناسبة جزءاً مما كتبه المؤلف عن أسرار الصلاة في شرحه كتاب سفينة النجاة للمرحوم حجة الإسلام أخيه الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء :

بل كل تلك الأعمال المتسقة المرتبة بذلك الترتيب الخاص والأوضاع المعينة حركات رياضية لها أعظم الاثر في نشاط الأعضاء وتقلص العضلات وقوتها وتماسكها وتنبيه العصب الحساسة ، وتحريك الدورة الدموية ، وإيقاد الحرارة الغريزية التي تهيج بيئة داخلية ثابتة وتنشط القوى لأعمال الفكر الصحيح ، ومعلوم أن وظيفة العضلات لا تقف عند حد حركة إنتقال الجسم من مكان الى آخر بل لها وظائف أهم وأعم وهو تأثيرها النافع في جميع مقومات البدن ومكائن التحليل والتبديل ، وتنبيه الجهاز الهضمي والعمود الفقري ، فتلك الحركات تمارين

صحية ورياضة طبيعية لها في كل عضو أثر خاص عميق منظمة ابداع تنظيم في أوقات معينة كل يوم ، بل هي مع ذلك وصفة طبية ، وطراز بديع في تحصيل المناعة للمفاصل والعظام والاعصاب والقلب والرئة والمعدة ، بل والرئيس الاعلى وهو الدماغ ، ولذا ورد في بعض الأخبار أن الصلاة مصحة للأبدان . نعم هي مبتكرة وبديعة في تنشيط مقومات الجسم وإعانة كل جزء من أجزاء البدن على اداء وظيفته وعمله وما خلق من أجله ، فإذا أدى كل عضو وظيفته جاءت الصحة وتموج في الجسم ماء الحياة وتدفق فيه ندير البهجة والنشاط والمرح ، وتمكنت النفس من صحيح الأفكار فيما يجري على لسانها من القراءة والأذكار ، وخشعت الجوارح وخضعت الاطراف وعرجت الروح الى صفوف الملأ الأعلى ، واستحقت الاندماج في زمر الملائك في حظيرة القدس متجولة في صوامع الملكوت ، وجوامع الجبروت ، واطمأنت بوقوفها مبتهجة مطمئنة بمشاهدة تلك العظمة ونوديت من أفق تلك الأصقاع المتعالية « يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي »^(١) . فهل تيقنت من كل هذا وهو قليل

(١) الفجر سورة ٨٩ . آية ٢٧ .

من كثير ، وجرعة من غدير ، أن الصلاة رياضة بدنية . ورياضة روحية . رياضة معتدلة . رياضة هادئة ، وانها تمنح الإنسان بالمواظبة على أدائها في أوقاتها الخاصة قوة الارادة وضبط الوقت وحفظ النظام ورسوخ ملكة الوفاء بالعهد وصدق الوعد ، الى كثير من أمثال هذه السجايا والمزايا ، فأين هذه الرياضة من رياضة الألعاب الصبائية من النط والقفزان ، والوثبة والنزوان ، مما هو بالأطفال اليق ، وهي بهم الصق ، وهل الصلاة إلا نظافة وتطهير ، وعبرة وتفكير ، وحركات رياضية وجهود عقلية ومكاشفات روحية وايسر أثر من آثارها ، وثمرة من جنى ثمارها أنها إذا اقيمت بشرائطها واديت بوظائفها المعتبرة فيها وسننها المرعية بها ضمنت لفاعلهما النهي عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله فيها أكبر ، فهل بعد هذا أيها المسلم تتأقل من المبادرة الى هذا العمل العظيم ، والخير الجسيم الذي لا يحتاج الى أكثر من ربع ساعة أو نصف ساعة ، ثم السعادة الأبدية من حين القيام بها الى قيام الساعة ، وفيها للمتدبر فيها مضافاً الى ما أشرنا اليه من المنافع الجسمية والروحية روح وبهجة ، وغذاء ولذة قد لا توجد في شيء من لذات الدنيا وأعمالها ، ولكن لأهلها ، وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين ومن ذاق

عرف ، ومن عرف وصف ومن وصف أنصف ، ومن اجل هذا وما هو أكثر منه جعلها الشارع بذلك المقام من الأهمية فصيرها عمود الدين ومعراج المتقين ، ولم يكن بين المسلم والخروج من الإسلام سوى ترك فريضة واحدة . ولو اتسع لنا الوقت ونفست من خناقنا هذه الظروف القاسية وخفت وطأة ما نلاقه من هذه الامة الجاهلة العمياء - لكتبنا أنفس كتاب واسع في مزايا الصلاة وحكمها وأسرارها ومنافعها الإجتماعية والصحية وغيرها مما يدل على عظمة دين الإسلام ، وتعرف بحق أنه أشرف الأديان ، وكذلك سائر تشريعاته وأحكامه وبالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الماء

الماء هو الذي لا يحتاج في التعبير عنه الى لفظ آخر ، فمثل ماء الورد وماء الرمان وكل معتصر أو ممزوج بجسم آخر بحيث لا يطلق لفظ الماء وحده عليه خارج عن الماء ، وينجس بمجرد الملاقاة ، وإن كان بغاية الكثرة وهو المضاف . وأما الاول وهو المطلق فقسمان : قسم ينجس بملاقاة النجاسة ، وإنما ينجس بتغير لونه أو طعمه أو ريحه بسبب وقوع النجاسة فيه . والمدار على تغير أوصافه الثلاثة بها ، وإن لم يكن بأوصافها وهو ثلاثة أنواع :

(١) الجاري على الأرض من مادة نابعة ويلحق

به ماء الآبار والعيون ونحوها مما ينبع ولا يجري .

(٢) ماء المطر حال تقاطره من السماء فلولاقى

نجاسة في الأرض حال اتصال التقاطر لم ينجس إلا اذا تغير .

(٣) الراكد الذي لا مادة له من السماء ولا من

الارض إذا كان قدر كر فما زاد ، وهو بحسب الوزن مائتان واثنتان وسبعون حقة ونصف حقة اسلامبول التي هي مائتان وثمانون مثقالاً صيرفياً ، وبحسب الحجم ما بلغ مكسره ثلاثة واربعين شبراً إلا ثمن شبر ، وما عدا ذلك من المياه الراكدة التي لا مادة لها ولا تبلغ الكرفهي تنجس بمجرد الملاقة .

ويظهر الماء المتنجس بها باتصاله بالكر أو الجاري ، بحيث يصير المجموع ماء واحداً أو بوقوع شيء من المطر عليه - مع زوال التغير إن كان متغيراً بالنجاسة .

النجاسات

النجاسات وهي الأعيان التي حكم الشارع بإجتنابها واجتناب ملاقيتها بالأكل والشرب والصلاة والطواف ، وأوجب تنزيه المساجد والقرآن وكل محترم منها وهي عشر .

(٢١) البول والغائط مما لا يؤكل لحمه من ذي النفس السائلة يعني ما له عروق تشخب دمًا عند القطع .

(٣) المني من ذي النفس مطلقاً

(٤) الميتة كذلك وهي التي خرجت روحها بغير الذبح الشرعي .

(٥) الدم من خصوص ذي النفس أيضاً فدم البق والسّمك ونحوهما مما ليس له عروق تشخب دمًا غير نجس وإن حرم أكله لكونه من الخبائث .

(٧٦) الكلب والخنزير البريان .

(٨) الكافر .

(٩) الخمر وكل مسكر مائع بالأصالة - فمثل الحشيشة والترياق طاهر وان حرم شربهما .

(١٠) الفقاع وان لم يسكر وهو شراب يتخذ من الشعير على وجه مخصوص .

وتثبت نجاسة الشيء بالعلم بملاقاته لشيء من هذه النجاسات العشر برطوبة ، أما مع اليبوسة فلا نجاسة . وتثبت أيضاً بالبيئة وهي الشاهدان العادلان وبالعدل الواحد ، وبقول ذي اليد مطلقاً ويجب إزالتها عن الثوب والبدن في الصلاة والطواف ، وعن المساجد وعن خصوص مسجد الجبهة ، وإن كانت يابسة . والمحمول النجس الذي لا يلوث الثياب لا بأس به . وكذا لا بأس بنجاسة ما لا يستر كالتكة والجواريب ، ويعفى في الصلاة عن دم القروح والجروح وعن مقدار الأنملة من سائر الدماء غير دم النساء .

المطهرات

المطهرات أمور :

(١) الماء وهو اعظمها واعمها ويطهر كل شيء حتى ما كان من جنسه ولكن مع زوال عين النجاسة ، ويكفي المرة في التطهر به مطلقاً والأحسن الثلاث والعصر بينها خصوصاً في مثل الثياب . ويتعين الثلاث في تطهير الأنية من ولوغ الكلب مع التعفير بالتراب . والسبع من ولوغ الخنزير بعد التعفير .

(٢) الأرض الجافة تطهر باطن النعل المتصل بها واسفل القدم بالمشي عليها مع زوال العين .

(٣) الشمس تطهر ما تجففه من الحصر والبواري وما لا ينقل عادة كالارض والجدران والاشباب والابواب حتى مثل الزرع والفواكه والأشجار مع زوال العين .

(٤) الاستحالة كالخشب يصير رماداً أو دخاناً أو

بخاراً والعذرة دوداً أو تراباً ، والمني يصير إنساناً
وهكذا .

(٥) الانقلاب كالخمر يصير خللاً .

(٦) الاسلام يطهر بدن الكافر وجميع ما عليه .

(٧) خروج الدم المعتاد من الذبيحة يطهر ما
يتخلف من الدم فيها .

(٨) غيبة المسلم ومن بحكمه كطفله المميز مع
علمه بالنجاسة واحتمال التطهر .

(٩) التبعية كأواني الخمر إذا انقلب خللاً .

(١٠) زوال عين النجاسة عن بدن الحيوان

الطاهر كالشاة والفرس وعن بواطن الإنسان كأنفه
وفمه .

قاعدتان شرعيتان

قاعدتان شرعيتان مهمتان :

الاولى : كل شيء شككت في طهارته ونجاسته فهو لك طاهر ولا تعتنى بإحتمال نجاسته وان كان الاحتمال قوياً .

الثانية : كل شيء شككت في أنه حلال اكله أو حرام فهو حلال لك إلا ما كان من حيوان كاللحوم والشحوم والادهان ونحوها . نعم كل ما أخذ من مسلم أو من سوق المسلمين وشككت فيه فهو حلال يجوز أكله وشربه واستعماله والصلاة فيه ولا يجب الفحص عنه . ويلحق بهما قواعد أخرى وهي كل مغصوب فإستعماله حرام والوضوء به باطل مع العلم بغصبيته وان كان الغاصب غيرك . وكل أواني الذهب يحرم استعمالها بجميع أنحاء الاستعمال ، وجلود الميتة نجسة أبداً ولا تطهر بالدبغ ولا يجوز إستعمالها مطلقاً . أما مع الشك بأنها من الجلود أو غيرها فهي محكومة بالطهارة .

الوضوء

إذا عرفت أقسام المياه والطاهر والنجس منها وأردت الصلاة وجب عليك الوضوء ، وينبغي لك قبله طلب الخلوة في مكان يستر عورتك عن الناظر المحترم كوجوب سترها في سائر الأحوال . ولا تجلس مستقبل القبلة ولا مستدبرها بل تجلس مشرقاً أو مغرباً . ويجب غسل مخرج البول بالماء وكذا المخرج الآخر . ويجوز مسحه بأجسام ثلاثة طاهرة قالعة من أحجار أو خرق أو نحوها ، ويكفي حينئذٍ عن الماء ، فإذا تطهرت قمت الى الوضوء فغسلت يديك الى الزندين مع البسملة . وواجبات الوضوء أمور :

(١) النية وهي القصد الى إيجاد هذه الأعمال بداعي القربة الى الله تعالى وامثال أمره ، وهو معنى نفساني صرف ليس للفظ مدخل فيه بل الأحسن ترك التلفظ .

(٢) غسل الوجه باليد من منتهى منابت الشعر

الى طرف الذقن طولاً وما أحاطت به بسطة يدك
عرضاً .

(٣) غسل اليمنى من المرفق الى رؤوس
الأصابع واليسرى كذلك .

(٤) مسح شيء من مقدم الرأس مما يوازي
الجبهة بشيء من احدى اليدين بيلة الوضوء لا بماء
جديد .

(٥) مسح تمام ظهر القدمين بتمام باطن أحد
الكفين .

شروط الوضوء وموانعه

الوضوء له شروط وموانع ونواقض . أما شروطه
فأمور :

(١) طهارة الماء .

(٢) إباحته فلو كان نجساً أو مغصوباً بطل .

(٣) الترتيب على النحو المتقدم ولا ترتيب بين
الرجلين .

(٤) الموالاة بمعنى المتابعة في الاغسال ، ولا
يضر الفصل القليل عادة ، فلو غسل اللاحق بعد

جفاف السابق بطل .

(٥) المباشرة بنفسه مع القدرة .

(٦) أن لا يكون استعمال الماء مضرّاً فلو كان مضرّاً وجب التيمم بدلاً عنه ولو كان على بعض أعضاء الوضوء جبيرة يشق نزعها مسح عليها بدل الغسل .

(٧) أن يكون الوقت متسعاً للوضوء والصلاة فلو ضاق عنهما تيمم .

(٨) يجب ازالة الحاجب عن وصول الماء الى البشرة إلا في الجبيرة .

(٩) الغسل من الأعلى الى الأسفل فلو عكس بطل .

(١٠) الترتيب . هذه شروط صحة الوضوء واضداده وموانعه .

نواقض الوضوء

وأما نواقض الوضوء فأشهرها أربعة :

النوم والبول والريح والغائط . وإذا قدمت غسل اللاحق من الأعضاء على السابق فأعد غسل السابق واللاحق ليحصل الترتيب وامسح رأسك

ورجليك بيلة وضوئك لا بماء جديد . وإذا شككت في
غسل بعض الأعضاء ومسحها ، فإن كان الشك قبل
الفراغ من الوضوء فأت به ، وإن كان بعده فالوضوء
صحيح ولا تلتفت الى الشك . ومن تيقن وشك في
صدور الناقض منه لا يلتفت الى الشك وبالعكس
يجب عليه الوضوء . ويحرم مس كتابة القرآن أو شيء
من أسماء الله تعالى بغير وضوء .

التيمم

وإذا لم يكن عندك ماء أو كان استعماله مضراً
بك لمرض أو خوف عطش أو كان الوقت ضيقاً ، أو
كان لا يحصل إلا بثمرن يضر بحالك فتيمم بدل
الوضوء أو الغسل ، وصورته بعد النية : أن تضرب
بباطن كفيك معاً على وجه الأرض الطاهرة المباحة
سواء كانت تراباً أو رملاً أو حجراً أو حصى أو نحوها
مما لا يخرج عن اسم الأرض - فلا يصح بمثل الملح
والقير ونحوهما من المعادن - ثم تمسح بهما بعد
الضرب على الأرض جبينك من منتهى قصاص شعر
الناصية الى طرف الأنف الذي يلي الحاجب طولاً ،
ومن الجبين الأيمن الى الأيسر عرضاً بالكفين معاً . ثم
تضرب الأرض ثانياً وتمسح ظهر الكف اليمنى باليسرى
واليسرى باليمنى من الزند الى رؤوس الأصابع .

فالتيمم اذا ضربتان ومسحتان ، مسحة للجبين
ومسحة للكفين ، وإذا صليت بالتيمم وتمكنت بعدها

من الماء فصلاتك صحيحة لا إعادة لها ولا قضاء ،
وان تمكنت منه قبل الركوع الأول قطعت الصلاة
وتوضأت وصليت وإلا فامض في صلاتك . وينقضه
كل ما ينقض الوضوء من الأحداث ويستباح به كل ما
يستباح بالوضوء مع بقاء العذر .

مستحبات الصلاة

فإذا أكملت طهارتك من وضوء أو تيمم فقم الى الصلاة التي عرفت انها عمود الدين - ولها مستحبات وواجبات :

ومستحباتها كثيرة قبلها وبعدها وفي أثنائها . وأهم ما يستحب قبلها الاذان وآكد منه الإقامة وهي ١٧ فصلاً .

الله أكبر . أشهد ألا إله إلا الله . أشهد أن محمداً رسول الله . حي على الصلاة . حي على الفلاح . حي على خير العمل . قد قامت الصلاة . الله أكبر . كل واحد منها مرتان ويختم بلا إله إلا الله مرة . والأحسن أيضاً مرتان .

وأهم ما يستحب في اثنائها القنوت وهو رفع اليدين بالدعاء بعد القراءة قبل ركوع الثانية . ويكفي فيه من الدعاء أن تقول : (اللهم أغفر لي ولوالدي)

ونحو ذلك .

وأهم ما يستحب بعدها التعقيب ، يعنى الجلوس
لذكر الله تعالى بعدها ولو قليلاً ، ونعني به ما يجوز
تركه والأرجح فعله .

والواجب مالا يسوغ تركه وقد يفسد العمل
بدونه .

مقدمات الصلاة

الفرائض اليومية خمس - وهي ١٧ ركعة - أربع
للظهر . وأربع للعصر . وثلاث للمغرب . وأربع
للعشاء . وإثنتان للصبح . ولا تجب إلا على البالغ
العاقل دون الصبي والمجنون ، ولها مقدمات - هي
شروط صحتها ، واجزاء - هي مقدمات
ماهيتها . ومبطلات هي موانع تحققها .

أما الشروط فهي أمور .

(١) الاسلام فلا تصح من الكافر حتى يسلم .

(٢) الطهارة من الحدث بالوضوء أو الغسل أو

التيمم .

(٣) طهارة ثيابه وبدنه وموضع سجوده من

النجاسة .

(٤) الوقت : وبيانہ أنك إذا واجهت نقطة الجنوب في العراق ووجدت الشمس قد مالت الى طرف الحاجب الأيمن فقد دخل وقت الظهر ، وكلما بادرت فهو أفضل . وبعد مقدار أدائها يدخل وقت العصر ويمتد وقتها الاجزائي الى غروب الشمس ، وبعد غروبها يبضع دقائق يدخل وقت صلاة المغرب وكلما تقدمت فهو أفضل . وبعد مقدار أدائها يدخل وقت العشاء ويمتد وقتها الاجزائي الى نصف الليل . ولذوي الأعذار الى الفجر . وعند ظهور النور المعترض في الأفق الشرقي - وهو الفجر الصادق - لا المستطيل وهو الكاذب ، يدخل وقت الصلاة الفجر وكلما تقدمت بعده فهو أفضل . ويمتد وقتها الاجزائي الى طلوع الشمس . ولا تصح الصلاة قبل الوقت . ولو فاتته لعذر أو عصيان أو نسيان قضاها بعده .

مكان الصلاة والساتر

فإذا احرزت دخول الفريضة فقم الى مكان مباح أولاً - أي غير مغصوب - يمكن الاستقرار عليه ثانياً ، غير نجس نجاسة تلوث الثياب والبدن ثالثاً ، وإذا كان طاهراً من كل نجاسة فهو أولى . وهذا أي المكان هو الشرط الخامس من مقدمات الصلاة وشروطها . والشرط السادس - الساتر - فلا تصح الصلاة عارياً مع

القدرة على الستر ولو بورق الاشجار ونحوها ولو تعذر بالكلية صلى جالساً مع عدم الامن من الناظر وقائماً مع الامن . ويشترط في الساتر أمور .

(١) أن يكون غير مغصوب .

(٢) ولا نجس .

(٣) ولا من حرير محض ، أما الممزوج بالقطن ونحوه فلا بأس ولو كان قليلاً .

(٤) وان لا يكون من صوف أو شعر أو وبر أو جلد ما لا يؤكل لحمه من الحيوانات كالسنور والسبع ونحوها .

(٥) وان لا يكون منسوجاً من الذهب . فلو لم تجد إلا ما فيه بعض هذه الموانع فصلّ عارياً إلا ان تخاف البرد فتصلي فيه .

القبلة

فإذا تمت لك تلك المقدمات الست توجهت الى القبلة وهو الشرط السابع . والقبلة هي الكعبة المقدسة - فيجب التوجه اليها في الصلاة مع العلم بها والظن المعتبر كالبيئة وخبر العدل ، ومع العجز عن معرفتها أو الاضطرار كراكب السفينة أو بيوت سكة

الحديد وأمثالها فيتوجه إليها قدر ما يمكن من صلاته مع عدم المشقة . ويسقط وجوب التوجه في المتعذر والشاق وهو مورد قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (١) ولو انكشف بعد الصلاة انه كان مستدبر القبلة فيها أعادها ، ولا إعادة مع الجهل والنسيان إلا في الاستدبار وهو مورد قولهم (ع) : (ما بين المشرق وبين المغرب قبلة) . فإذا توجهت إليها فأذن واقم كما عرفت - إذا شئت ، وادخل في الصلاة .

أجزاء الصلاة

قد عرفت مقدمات الصلاة وشروطها - وأما أجزاؤها المقومة لماهيتها فهي أيضاً أمور :

(١) النية - أعني القصد الى ايجاد تلك الأفعال الخاصة قربة الى الله تعالى أي بداعي أمثال أمره لا لغرض آخر من رياء ونحوه ، وهذا معنى الاخلاص الذي هو روح العبادة - وهي بدون جسم بلا روح وهو المراد بقوله تعالى : ﴿وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (١) . والنية أمر بسيط جداً لا يحتاج الى أكثر من تعيين الفعل المنوي وانه ظهر أو

(١) البقرة سورة ٢ . آية ١١٥ .

(١) البينة سورة ٩٨ . آية ٥ .

عصر أو غير ذلك ، وان يكون المحرك على فعله
التقرب الى رضوان الله تعالى ولا يحتاج الى لفظ ولا
الى تصور تفصيلي .

(٢) القيام - فتقف متنصباً - أي غير منحني -
مستقلاً أي غير معتمد ولا مستند الى شيء من جدار أو
غيره - مستقراً - أي غير مضطرب ولا مهتز - كل ذلك
مع القدرة أما مع الضرورة فلا حرج . وإذا عجز عن
القيام سقط بمقدار عجزه فيصلي جالساً وإذا عجز عن
الجلوس صلى مضطجعا الى جنبه الأيمن ثم الأيسر ثم
مستلقياً ويومي برأسه أو بعينه للركوع والسجود (ولا
تسقط الصلاة بحال) .

(٣) تكبيرة افتتاح الصلاة وتسمى أيضاً (تكبيرة
الأحرام) ، اذ بعد التلفظ يحرم اختيار قطع الصلاة
بشيء من المبطلات التي سيأتي ذكرها . وصورتها
(الله أكبر) وهي من أركان الصلاة التي تبطل بتركها
عمداً وسهواً ويلزم أن يأتي بها حال القيام والاستقبال
والستر . فلو كبر قاعداً أو على غير القبلة أو عارياً
بطلت ولو سهواً . أما مع الضرورة فلا حرج .

(٤) قراءة سورة الفاتحة بتمامها . والبسملة
عندنا جزء منها فلو تركها أو ترك حرفاً من الفاتحة

عمداً بطلت صلاته .

(٥) قراءة سورة كاملة من القرآن الكريم بعد الفاتحة ولو من أصغر الصور كالكوثر . والأفضل قراءة التوحيد . وتركها عمداً تبطل الصلاة أيضاً . أما مع نسيانها أو نسيان الفاتحة أو شيء منها فتصح الصلاة ويسجد بعدها سجدة السهو . ويجب الجهر بقراءة الفاتحة والسورة على المتعارف في صلاة الصبح والمغرب والعشاء والاختفات في قراءة الظهرين . وأما ما عدا القراءة من الأذكار فيتخير فيها بين الجهر والاختفات مطلقاً . ولو اخفت في موضع وجوب الجهر أو بالعكس عمداً بطلت أما جهلاً أو سهواً فلا .

(٦) الركوع وهو الانحناء الى أن تصل يديه الى ركبتيه ويجب فيه تسبيحة كبرى « سبحان ربي العظيم وبحمده » أو ثلاث صغرى .

(٧) السجود وهو وضع الجبهة على الأرض أو ما أنبت غير المأكول والملبوس أو القرطاس ، ويجب فيه أيضاً تسبيحة كبرى (سبحان ربي الأعلى وبحمده) أو ثلاث صغرى والجلوس بينهما وبعدها مطمئناً ، والسجود على سبعة أعضاء الجبهة والكفين والركبتين وابهامي القدمين .

(٨) التشهد مرة بعد الركعة الثانية في الثانية
واخرى في آخر الصلاة فيما عداها والواجب منه أشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله اللهم صلى على محمد وآل محمد .

(٩) التسليم والواجب واحدة من « السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته » فإذا قال الأولى استحبت الثانية وإن قال
الثانية سقطت الأولى وأما « السلام عليك أيها النبي
ورحمة الله وبركاته » فهو مستحب ولا يجزي عن
الواجب والتسليم جزء من الصلاة على الأصح فلو
قارنه الحدث أو نحوه بطلت .

(١٠) الطمأنينة في جميع أحوال الصلاة .

(١١) الترتيب على النحو المتقدم .

(١٢) الموالاة وعدم الفصل الطويل بين

أفعالها .

قواطع الصلاة ومبطلاتها

(١) الحدث أي ما يوجب الغسل أو الوضوء
يبطلها عمداً أو سهواً أو جهلاً اختياراً أو اضطراراً .

(٢) التكفير وهو وضع إحدى اليدين على

الأخرى يبطلها عمداً اختياراً .

(٣) الإنحراف عن القبلة بكل البدن الى اليمين أو الشمال أو انحراف الوجه الى وراء أما انحرافه اليهما فمكروه والاستدبار بالوجه فضلاً عن البدن مبطل مطلقاً .

(٤) الكلام عمداً ما لم يكن ذكراً أو دعاء بحرفين ولو مهملين أو واحد ذي معنى .

(٥) القهقهة عمداً أما التبسم فمكروه .

(٦) البكاء بصوت على شيء من أمور الدنيا . أما لو بكى تضرعاً الى الله تعالى ليشفي مريضه أو يقضي حاجته فلم يقدح وإن كان الأحوط الاجتناب أيضاً . أما البكاء فيها من خشية الله فهو روحها وجوهرها .

(٧) كل ماح لصورتها وإن لم يكن فعلاً كثيراً كالوثبة الفاحشة وشرب الدخان والنظر في كتاب ونحو ذلك .

(٨) الأكل والشرب عمداً . وإن لم يكن فعلاً كثيراً ولم يمح صورتها ، أما لو بلغ ما في فمه من الطعام المتخلف أو ذوب النبات والثلج في فمه ونزوله

تدریجاً فلا یقدح والأحوط الإجتنب .

(٩) آمین آخر الحمد عمداً اختیاراً علی
الأحوط .

(١٠) الشكوك المبطله كما سیأتی .

(١١) الزیادة العمدیة مطلقاً أو زیادة الأركان
مطلقاً .

(١٢) النقیصة كذلك .

الخلل

من زاد جزءاً فی صلاته ركناً كان أو غیره بنية الجزئية لا
بنية الذكر أو الدعاء عمداً بطلت صلاته ، والنقیصة
عمداً كذلك . ومن زاد سهواً فإن كان ركناً بطلت
كرکوعین فی ركعة واحدة أو سجودین أي أربع
سجديات إلا فی الجماعة فیما لو رفع المأموم رأسه قبل
الإمام حیث یلزمه العود ولا شیء علیه ، وإن لم یکن
ركناً مضت صلاته وسجد بعدها سجدي السهو . ومن
نقص سهواً فإن كان ركناً أتى به ان ذكره قبل الدخول
فی ركن آخر وإلا بطلت . فلو نسي الركوع وذكر قبل
السجدة الثانية عاد وأتى به ثم بالسجدتين ثم بسجدي
السهو بعد الصلاة ، وإلا استأنف صلاته ، وإن لم

يكن ركناً أتى به وبما بعده ما لم يدخل في ركن وإلا مضت صلاته وسجد بعدها سجدة السهو ، ولا يقضي من الأجزاء المنسية الواجبة سوى التشهد وأجزائه والسجدة الواحدة .

الشكوك في الصلاة

ولا تكاد تنضبط صورها الممكنة عقلاً ، ولكن يمكن حصر عام البلوى منها في ثلاثة أنواع :

(١) ما لا يعتد به ولا يحتاج الى علاج .

(٢) ما يعتد به فيبطل وليس له علاج .

(٣) ما لا يبطل ولكن يحتاج الى علاج .

ولكل منها خمس صور :

صور الأول

(١) الشك بعد خروج الوقت في أصل فعلها أو في شيء من أفعالها أو شرائطها .

(٢) الشك في فعل أو قول ركن أو غيره تجاوز محله والدخول في غيره واجباً كان الغير أو مستحباً ، فعلاً أو مقدمة فعل . حتى الهوي الى الركوع أو السجود على الأقوى .

(٣) الشك بعد الفراغ أي بعد السلام الواجب .

(٤) شك كثير الشك وهو من تعاقبت عليه في صلاة واحدة أو ثلاث ثلاثة شكوك ، فإنه يصير بعدها كثير الشك فلا يلتفت الى شكه ولو كان في صلاة أخرى ما لم تمض عليه ثلاث صلوات سالمة وهكذا .

(٥) الشك مع قيام إمارة شرعية على الصحة وإن لم تفد الظن خاصة في باب الصلاة ، كشك الامام مع حفظ المأموم والعكس ، أو عامة كالبيئة ونحوها .

صور النوع الثاني :

(١) الشك في ما عدا الرباعية ثلاثية كالمغرب أو ثنائية واجبة كالصبح والجمعة والعيد والآيات والطواف ، واليومية المقصورة عدا صلاة الاحتياط . نعم المقصورة في مواضع التمييز يمكن القول بجريان الشكوك الصحيحة في بعض صورها وإن كان الأحوط الإعادة .

(٢) الشك في الأوليين من الرباعية مطلقاً حتى في الأخيرتين منها ، فلا يختص شكها المبطل بالشك قبل إكمال السجدين من الثانية .

(٣) الشك المقرون بالعلم الإجمالي بين الزيادة

والنقيصة ، كالشك بين الثلاث والخمس بعد الجلوس من السجدين . أما حال القيام فيمكن تصحيحه .

(٤) الشك المنتهي الى العلم التفصيلي بالبطلان ، كالمردد بين الزائد على الأربع ، مثل ما لو شك أنها خمس أو ست وهو جالس أيضاً وهكذا .

(٥) لو شك في عدد غير محصور ، يعني لم يدر كم صلى ، فالشك في هذه الصور مبطل للصلاة موجب للإستيناف ، ولكن بعد استقراره لا بمجرد خطوره ، كما أنه أي الخطور في الصور السابقة لا يلتفت اليه ويبني على الصحة وفراغ الذمة .

صور النوع الثالث :

(١) الشك بين الاثنين والثلاث حال الجلوس ، فإذا استقر شكه بنى على الثلاث وأتم واحتاط بركعتين من جلوس أو ركعة من قيام .

(٢) الشك بين الثلاث والأربع حال القيام أو الجلوس بنى على الأربع وأتم واحتاط كما سبق .

(٣) الشك بين الاثنين والأربع حال الجلوس بنى على الأربع واحتاط بركعتين من قيام .

(٤) الشك بين الاثنين بعد إكمال السجدين

وبين الثلاث والأربع بنى على الأربع واحتاط بركعتين قائماً وركعتين جالساً .

(٥) الشك بين الأربع والخمس فإن كان في القيام قبل الركوع هدم وعاد الى الشك بين الثلاث والأربع فبني على الأربع ويتم عمله ، وإن كان بعد إكمال السجدين بنى على الأربع أيضاً وأتم وسجد سجدي السهو ، وإن كان بعد الركوع قبل السجود ، فالأقوى البطلان ، وهي داخلة في الصورة السابقة .
سجدتا السهو

مع أنها تجب لكل زيادة ونقيصة ، تجب أيضاً في خمسة موارد منصوصة :
(١) في التكلم سهواً .

(٢) في السلام في غير محله يعني إحدى الصيغتين مع إتمامها ولا تجب في المستحب .
(٣) التشهد المنسي أو ابعاضه والسجدة الواحدة .

(٤) في الشك بين الأربع والخمس كما مر .

(٥) القيام في موضع القعود أو العكس وكيفيتها ينوي ويكبر ثم يسجد ويقول مطمئناً : « بسم الله وبالله

وصلّى الله على محمد وآل محمد» ، ثم يرفع رأسه
ويطمئن ويسجد ثانياً ثم يجلس ويقول : « أشهد أن لا
إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صلي
على محمد وآل محمد» ويسلم بإحدى الصيغتين .

أفعال صلاة الاحتياط

هي النية وتكبيرة الأحرار والفتحة فقط إخفاتاً
والركوع والسجود والتشهد والتسليم ، وإذا شك فيها
يبنى على المصحح ، وأما في اعداد النوافل فيتخير
فيه بين البناء على الأقل والأكثر ، وأما السهو فيها فلا
حكم له ، بل يمضي وإن كان الأولى في نسيان
السجدة أو التشهد قضاؤها أيضاً . أما الأجزاء
والشرائط والموانع فهي في النافلة والفريضة سواء عدا
السورة ، فإنها ليست بجزء في النافلة .

الصوم

يجب على كل مكلف غير الحائض والنفساء والمسافر والمريض الامساك بقصد القربة الى الله عن تعمد الأكل والشراب مطلقاً ، وعن الجماع قبلاً أو دبراً انساناً أو بهيمة حياً أو ميتاً فاعلاً أو مفعولاً ، وعن الاستمناء وعن البقاء على الجنابة حتى يطلع الفجر أو حدث الحيض والنفاس والاستحاضة ، بل يجب الغسل مع النقاء قبله ، وعن معاودة الجنب النوم مرتين قبل الفجر بعد انتباهتين ، وعن إيصال الغبار الغليظ الى الجوف ، في كل يوم من شهر رمضان من طلوع الفجر الى ذهاب الحمرة المشرقية على الأحوط ، فلو أدخل في شيء منها وجب عليه القضاء والكفارة ، ويجب القضاء فقط لو عاد بعد انتباهه أو تعمد القيء أو احتقن بالمائع ، والأقوى كراهة رمس الرأس في الماء والأحوط الاجتناب ، أما الكذب على رسول الله والأئمة صلوات الله عليهم فتأكد حرمة والأحوط القضاء معه ، ويثبت شهر رمضان برؤية الهلال أو

بشهادة عدلين أو بحكم المجتهد الجامع للشرائط أو
الشياع فضلاً عن التواتر المفيد للعلم ، أو بإكمال عدة
شعبان ومثله هلال شوال ، ولا يقع في شهر رمضان
غيره ، ولو نوى غيره لم يقع عنه ولا عن رمضان ،
والأولى في يوم الشك صومه بنية القربة بلا تعيين ،
ويجزى عن رمضان لو صادفه . ولا حاجة أيضاً في
شهر رمضان الى تعيين بل ينوي صوم هذا اليوم قربة
الى الله تعالى ، وهي كما عرفت الداعي بلا لفظ ولا
أخطار ، وتجاوز من أول الليل وتتضيق عند الفجر ،
وتمتد في المسافر والغافل . وقضاء رمضان وغيره من
أنواع الصوم الواجب الى الزوال ، ويلزم في غيره
التعيين .

وكفارة إفطار رمضان كبرى مخيرة بين العتق
والصيام ستين يوماً أو إطعام ستين مسكيناً ، وكفارة
قضاء رمضان مرتبة إطعام عشرة فإن عجز فصيام
ثلاثة ، ولا كفارة في شيء من أنواع الصوم الواجب
غيرهما ، نعم في مخالفة النذر كفارة يمين على
الأقوى فيها أمران ، عتق رقبة أو إطعام عشرة
مساكين ، فإن عجز فثلاثة أيام . وكفارة الجمع فيمن
أفطر على محرم عتق وصيام وإطعام ، ويسقط الصوم
عن الشيخ والشيخة وذوي العطاش مع المشقة الشديدة

في صومه ، وتجب الفدية عن كل يوم بمد ، وكذا
 الحامل المقرب والمرضعة القليلة اللبن ، ويقضي
 المرتدّ زمان رده دون الكافر الأصلي والمخالف إذا استبصر
 وقاضي شهر رمضان له الإفطار قبل الزوال مع سعة الوقت ،
 فإن أفطر بعده كفر ، والتتابع غير لازم في شيء من
 الواجب إلا في شهر رمضان ، وصوم الكفارة في واحد
 وثلاثين يوماً والنذر المعين فيه التتابع ، والصوم
 المستحب في السفر أقل ثواباً من الحضر . ويستحب
 الاعتكاف مطلقاً سيما في العشر الأواخر من شهر
 رمضان ولا يصح إلا في أحد المساجد الأربعة :
 الحرمين أو الكوفة أو البصرة ، وهو عبارة عن نية
 اللبث فيها ثلاثة أيام متواصلة صائماً ، فلا يصح إلا
 ممن يصح منه الصوم ولا يخرج إلا لضرورة
 شرعية أو عادية أو أمر راجح شرعاً كتشييع جنازة أو
 قضاء حاجة مؤمن ونحوهما ، ومع الخروج لا يمشي
 تحت الضلال ولا يجلس ولا يصلي ويحرم عليه كلما
 يحرم على الصائم ، وله قطعه قبل الدخول في الثالث
 إلا إذا اشترط ولم يكن واجباً بنذر ونحوه ، ويحرم
 عليه الجماع مطلقاً حتى في الليل ، فلو جامع كفر
 وفي النهار تتضاعف ، ولو أفسده وهو واجب قضاء ،
 ولو حاضت أو مرض المعتكف قضياه إن كان واجباً .

الزكاة

ووجوبها شديد مؤكد وهي ثانية الصلاة وتجب في تسعة أشياء : (٢٠١) النقدين الذهب والفضة : بشرط السكة والحول والنصاب وهو عشرون ديناراً خمسة عشر مثقال صيرفي فيوازي عشر ليرات عثمانية ، والأحوط لزومها في التسع . وهذا هو النصاب الأول ويجب فيه ربع العشر ربع ليرة مثلاً ، ولا شيء فيما نقص عن ذلك ولو حالت عليه أحوال ثم في أربعة دنائير بعد العشرين على ذلك القياس ، ولا شيء فيما دونها . أما الزائد فعلى تلك النسبة . ونصاب الفضة الأول مئتا درهم وبالصيرفي مائة وخمسة مثاقيل ، وفيها ربع العشر خمسة ثم أربعون ، وكلما زادت فعلى هذه النسبة ولا شيء فيما نقص ، فمن مضى عليه من المكلفين أحد عشر شهراً وهل الثاني عشر مالكاً لذلك القدر عيناً متمكناً من التصرف فيه وجبت عليه زكاته بلغ ما بلغ .

(٣ و ٤ و ٥) الأنعام الثلاثة الابل والبقر والغنم :

بشرط الملك والحول كما مر والسوم في تمامه
وعدم العمل كذلك والنصاب ، ففي الابل اثنا عشر :
(١) خمس فشة (٢) عشر فشاتان (٣) خمسة
عشرة فنلاث . (٤) عشرون فأربع (٥) خمسة
وعشرون فخمس (٦) ست وعشرون فبنت مخاض
(٧) ست وثلاثون فبنت لبون (٨) ست وأربعون
فحقة (٩) احدى وستون فجذعة (١٠) ست
وسبعون فبنتا لبون (١١) احدى وتسعون فحقتان
(١٢) مائة وواحدة وعشرون ، ففي كل خمسين حقة
وفي كل أربعين بنت لبون بالغاً ما بلغ ويراعى أوفر
العددين للفقراء ، ففي المائتين وخمسين خمس حقق
لا ست بنات لبون ، وفي المائة وسبعين ثلاث بنات
لبون وحقة لا أربع بنات لبون وهكذا ، وأما البقر
فنصابان ثلاثون وفيه تبيع أو تبعة ، وأربعون فيه مسنة
وهكذا كما مر . وأما الغنم ففيها خمسة نصب :

أربعون فشة (٢) مائة وإحدى وعشرون فشاتان (٣)
مائتان وواحدة فنلاث شياه (٤) فنلاثمئة وواحدة فأربع
شياه (٥) أربعمئة ففي كل مائة شاة وهكذا .

(٦٧ و ٨٩) الغلات الأربع الحنطة والشعير

والتمر والزبيب:

بشرطين النصاب ، وهو خمسة أوسق يوازي ثمانى وزنات وخمس حقق ونصف إلا ثمانية وخمسين مثقالاً وثلاث مثقال بوزنة النجف أو سبع وعشرين وزنة وعشر حقق وخمسة وثلاثين مثقالاً بعيار أسلامبول ، وان يملكه بالزراعة وينمو في ملكه ، فلو انتقل اليه بالبيع أو الهبة ونحوهما فلا زكاة ، كما لا زكاة في الأقل والزائد بحسابه ، والواجب العشر إن سقي سيحاً أو بعلاً أو عذباً يعني بماء السماء أو بمص عروقه ، أو نصفه إن سقي بالدوالي والقرب أو النواضح أو المكائن ونحوها . . ؛ ولكن بعد اخراج المؤن ومنها حصة السلطان ، ولو سقي بهما فالأغلب ولو تساويا قسط ويتعلق الوجوب عند صدق الاسم ، وفي الزبيب يصدق إسم العنب ، فلو تلفت قبل أو انتقلت عن ملكه فلا زكاة ولا ضمان ، ومستحقها الأصناف الثمانية : ﴿ الفقراء والمساكين ﴾ وهم الذين لا يملكون قوت سنتهم لهم ولعيالهم الواجبى النفقة ، ويكون عاجزاً عن تحصيل الكفاية بالصنعة ، ﴿ والعاملون عليها وهم السعاة ، ﴾ والمؤلفة قلوبهم ﴿ وهم الذين يستمالون لمساعدة المسلمين وإن كانوا كفاراً ، ﴾ وفي

الرقاب ﴿ وهم المكاتبون والعبيد تحت الشدة ،
﴿والغارمون﴾ أي المدينون في غير معصية الله ، ﴿في
سبيل الله﴾ وهو كل مصلحة أو قربة عامة كبناء القناطر
والمساجد ، ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع به في الغربة
وإن كان غنياً في وطنه .

ويعتبر فيما عدا المؤلفة الايمان بل وعدم
التجاهر بالمعاصي ، ويعيد المخالف إذا دفعها لمثله ،
ولا يجوز دفعها لواجبي النفقة ولا للهاشميين إن كان
الدافع من غيرهم ، ولا يجب التوزيع على الأصناف ،
ويستحب إخراجها من كل ما تنبته الأرض ، كما
يستحب للولي إخراجها من مال الصبي الزكوي .

زكاة الفطرة

تجب على المكلف الحر الغني وهو مالك قوت
سنته له ولعِياله في كل سنة عند هلال شوال ، وتضيق
عند طلوع الشمس على الأحوط والأقوى الى الزوال ،
ويجوز تقديمها بنية القرض ثم الإحتساب ، وتقضى
بعد العيد ويجب دفعها عنه وعن كل من يعول به ولو
تبرعاً صغيراً أو كبيراً حراً أو عبداً وهكذا . وقدرها عن
كل واحد نصف حقة ونصف وقية وواحد وثلاثون

مثقلاً إلا حمصتين بحقة النجف التي هي تسعمئة
وثلاثة وثلاثون مثقالاً وثلاث وبالا ستانة حقتان وثلاثة
أرباع الوقية ، ومثقالان إلا ربع ، وتجب فيها النية
ودفعها لمستحقي زكاة المال ، والأفضل دفعها الى
الإمام عليه السلام ، ومع غيبته الى نائبه العام من
المجتهدين الجامعين للشرائط ، ويستحب من الفقير
حسب إمكانه ولو بأن يصرفها على عياله ، وتخرج من
الحنطة والشعير والأرز واللبن وغيرها من القوت
الغالب .

الخمس

وهو حق آل بيت محمد صلوات الله عليه وعليهم
والمتهاون به يخشى أن يعد في الغاصبين لحقوقهم
والظالمين لهم ، ويجب على كل مكلف . والأحوط
أن يخرج الولي عن الصبي من أمواله التي تتعلق بها
الخمس وهو في سبعة أشياء :

الغنائم والغوص والمعادن وأرباح التجارات
والصناعات والزراعات والكنوز وأرض الذمي إذا
اشتراها من مسلم ، والحرام المختلط بالحلال
المجهول المقدار والمالك ، ولا يتميز مع عدم العلم
بزيادته على الخمس ، ويعتبر في المعادن والكنوز
والنصاب وهو عشرون ديناراً بعد مؤونة الإخراج ، وفي
الغوص دينار ، وفي الأرباح ما زاد عن مؤونة السنة له
ولعياله مقتصداً ، ويجب في الزائد . ويقسم الخمس
من تلك الأمور ستة أقسام :

ثلاثة للإمام عليه السلام ومع غيبته تدفع لنائبه وهو

المجتهد الثقة الأمين وثلاثة للفقراء والأيتام وأبناء السبيل من السادة مع التزامهم بشريعة جدهم (صلى الله عليه وآله) وفقرهم .

والأنفال وهي كل أرض خربة بآء أهلها ، وكل أرض لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، وكل أرض سلمها أهلها من غير قتال ، ورؤوس الجبال وبطون الأودية والموات والآجام وصوافي الملوك وقطايهم غير المغصوبة ، وميراث من لا وارث له ، والغنائم المأخوذة بغير إذن الامام عليه السلام ، وأمرها بعده لحاكم الشرع . وقد أباحوا صلوات الله عليهم لشيعتهم خصوص المساكن والمتاجر والمناكح من الغنائم .

﴿ تنبيه ﴾ يستحب مؤكداً على ولي الصبي من أبيه وغيره تمرينه بعد السبع أو التسع على الصلاة ، والإمتناع عن المحرمات التي فيها قبح ذاتي كالزنى والكذب والسرقة ، لا نسبي كدخول المسجد جنباً ومس القرآن محدثاً ويمنعه عما فيه ضرر على ذات الفاعل كشرب الخمر والنجس وأكل الميتة . والأحكام الشرعية كلها تشتمل على مصالح ومفاسد تعود الى نفع المكلفين . والله غني عن العالمين وله الحمد والمجد والفضل والمنة .

الباب الثالث

في الآداب والإخلاص

النهي عن الكلام القبيح

قال سبحانه في كتابه المجيد : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً شديداً يصلح لكم أعمالكم﴾^(١) أشار تعالى الى تلازم هذه الأمور بعضها لبعض ، فالإيمان بالله يستلزم تقوى الله ، والتقوى تستلزم سداد القول ، وسداد القول يستلزم صلاح العمل . فمن لا سداد له لا تقوى له ، ومن لا تقوى له لا إيمان له . وسداد القول هو أن تصيب به مواضع الصواب من الغرض الصحيح المشتمل على فائدة مشروعة لك أو لغيرك ، فكل كلام خلي عن الفائدة فهو غير سديد . وهذا أول مراتب قبح الكلام ، كما أن لحسن

(١) الأحزاب سورة ٣٣ . آية ٧٠ - ٧١ .

الكلام مراتب مترامية في العلو ، فكذلك لقبه مراتب متوالية في السقوط ، فأول مراتب قبحه خلوه من الفائدة كأكثر محاوراتنا اليومية مع عشرينا - اني أكلت كذا وشربت كذا وذهبت الى فلان وجاءني فلان وأمثال ذلك مما لا يعود بفائدة على السامع ولا على المتكلم - وقد يكون أشد قبحاً كما لو كان مشتملاً على الفاظ السفلة ومسلوبي الحياء الذين لا يبالون بما قالوا ولا بما قيل فيهم ، وأشد قبحاً من ذلك أن يكون الكلام كذباً وغير مطابق للواقع . وأشد قبحاً منه أن يكون مشتملاً على إيذاء الغير وهتك حرمة وإن كان صدقاً ، فضلاً عما لو كان كذباً وبهتاناً ، وذلك كالسب والفحش والتهم والتعرض لذكر عيوب الناس قال تعالى : ﴿ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾^(١) وأصل النبز التعيير ، أي لا يدعوا بعضكم بعضاً بلقب يكرهه ، مثلاً لو كان رجل أبوه كناس فلا تقل هذا ابن الكناس وإن كان حقاً ، وقد جعل الله سبحانه التعاير والتنابز بالألقاب في الآية موجباً للفسق والخروج عن الإيمان ، وأشد قبحاً من الجميع أن تذكره في غيبته بما يسوؤه كما سبق بيانه .

(١) الحجرات سورة ٤٩ . اية (١١)

في الكلام الكذب

قال تعالى : ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ
وَجُوهَهُمْ مَسْوَدَةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٢)
وقد عرفت أن الكذب هو نقل ما يعلم الانسان أنه
خلاف الواقع وهو من أخس الرذائل الموجبة للإسلاخ
من شرف الانسانية ، وذهاب الحياء والمروءة والسقوط
من أعين الناس ولا يفلح الكاذب أبداً .

وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا
يَفْلَحُونَ﴾^(١) وما عز كاذب ولو طلعت الشمس من بين
عينيه ، ولا ذل صادق ولو اجتمع الناس كلهم عليه .

وقال بعض الأئمة (عليهم السلام) : لئن يضررك
الصدق وقليلاً ما فعل - خير من أن ينفعك الكذب
وقليلاً ما فعل - يعني ضرر الصدق - وقليلاً ما يكون
الصدق ضاراً (لأن النجاة في الصدق) ، خير من نفع
الكذب وقليلاً ما يكون الكذب نافعاً .

اليمين الكاذب

يزداد قبح الكذب وحرمة اضعافاً مضاعفة إذا

(٢) الزمر سورة ٣٩ . آية (٦٠) .

(١) النحل سورة ١٦ . آية (١١٦) .

حلف الكاذب عليه وفي الحديث : (اليمين الغموس تذر الديار بلاقع) ، يعني اليمين الكاذبة تخرب الديار وتبيد أهلها وتذرهما قاعاً صفصفا . وقال تعالى في القرآن : ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ الى قوله ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾^(٢) والحلف مطلقاً غير محمود صادقاً كان الحالف أو كاذباً فإنه يدل على مهانة الشخص واستحقاره لنفسه ، وانه ممن لا يوثق بكلامه حتى يعضده باليمين - وهو مما يوجب ريبة السامع أيضاً ، وإلا فالصادق مستغن عن ذلك فإن الحق رهين بتصديقه لا اليمين - ومن لا يبالي بالكذب لا يبالي باليمين ، فاليمين عبث صرف .

في النهي عن الإسراف في الأكل والشرب

قال تعالى : ﴿يا بني آدم خذوا زيتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾^(١) . قال إمامنا زين العابدين سلام الله عليه جمع الطب كله في كلمتين : ﴿كلوا ولا تسرفوا﴾ . وما أصدق ما قال ، فإن الإنسان لو وازب على الاقتصاد في أكله وشربه لم يمرض أبداً ولعاش

(٢) القلم سورة ٦٨ . آية (١٠ - ١٣) .

(١) الأعراف سورة ٧ . آية (٣١) .

عمره الطبيعي متمتعاً بنعيم الصحة والعافية التي لا تقدر بثمن ، فإن جميع الأمراض تنشأ في الأغلب من زيادة الأكل على مقدار حاجة البدن ، وما تتحمله القوة الهاضمة ، فتستحيل تلك الزيادة التي تعجز الطبيعة عن إكمال التصرف فيها الى فضلات فتاكة وسموم مهلكة - تثير على الأعضاء الرئيسية من الجسم ، كالقلب والكبد والرئة حرباً شعواء بأمراض مختلفة قد تؤدي الى الهلاك .

في الصحة

الصحة رأس مال الإنسان ومادة حياته وأساس وجوده ، فإذا اختلت صحته اختل وجوده وفسد عقله وقد قالوا- وحقاً ما قالوا- العقل الصحيح في الجسد الصحيح - ثم بعد اختلال صحته ، إما أن يعود فريسة للموت أو يبقى برهة من الأيام منغص الحياة رهين العلل والأسقام . وأكبر سبب في فقد الصحة هو ما عرفت من الإسراف في الأكل وحقيقة الإسراف تضييع الوسط والانحراف عن نقطة الاعتدال ، فمن أعطى جسمه من الأكل دون مقدار حاجته وأقل من كفايته فقد أسرف كإسراف من أعطاه فوق حاجته وأكثر من قابليته ، كل منها يوجب اختلال الصحة وفقد الحياة والقوة لأنها طرفا إفراط

وتفريط وخروج عن الاعتدال^(١).

الاعتدال في الطعام

حيث أن الأكثر في الناس أنهم يأكلون أكثر ما يحتاجون اليه طلباً للتلذذ والتنعم غافلين عن الحكمة السامية في الكلمة المعروفة (إن الانسان يأكل ليعيش لا يعيش ليأكل) . والشهية غالباً أكثر من الحاجة ، فالمنهزمون يشتهون الأكل غالباً وهم محتاجون إليه . لذلك وجب نصب ميزان لكل انسان كي يزن به مقدار حاجته الى الأكل حتى لا يتجاوزه فيقع في المهالك . وأحسن ميزان ، وأصح معيار ، للأكل النافع وتعيين مقدار الواجب منه للبدن ، أن لا يأكل الإنسان إلا

(١) يتفق علماء الطب وعلماء النفس في العصر الحاضر على وجود علاقة وثيقة بين العقل والجسم ، وينبغي التسليم بأن العقل السليم في الجسم السليم وبالعكس فإن الجسم السليم في العقل السليم . وكما أن المرض الجسمي الحقيقي يشل الفكر والعقل ، كذلك فإن الهموم والقلق النفسي والوهم والوسوسة والخيال والمشاكل الشخصية والانفعالات الشديدة والعواطف السيئة التي تطرأ للفرد تضر بجسمه ضرراً بالغاً ، وتجعله قابلاً لمختلف الأمراض الميكروبية المعدية أو الأمراض العضوية غير المعدية . وتتوقف الحالة العقلية السليمة للفرد على حسن تربيته في الصغر وتلبية حاجاته العضوية والنفسية في الصغر والكبر ولا يتم ذلك إلا في بيئة إجتماعية صالحة موجهة نحو الخير والبناء والابداع خالية من الظلم والاستغلال والشور .

وقت إحساسه بفراغ معدته واستكمال شهيته الى الطعام ، فلا يكتفي بالشهوة وحدها ولا بالفراغ وحده ، فإن الشهوة كما عرفت هي التي تحمل الإنسان غالباً على أن يأكل أكثر من حاجته فتطرعه على فراش العلل والأسقام . كما أن الفراغ مع عدم الشهوة يوجب كون الطعام ثقلًا على الطبيعة فلا تتوجه الى هضمه الصحيح لعدم ميلها إليه ، فاللازم ان لا يأكل إلا مع الحاجة والرغبة وإذا أكل مع هذين الوصفين فاللازم أن يرفع يده مع بقاء شيء من الشهوة ولا يستقصيها ، وهذا هو الميزان الصحيح للمقدار الأكل النافع المشار اليه في بعض الأحاديث : (كل وأنت تشتهي وقم وأنت تشتهي) . وأعلى منه قوله عليه السلام وهو من جوامع الكلم ومعجزات الحكمة : (المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء) . وقوله صلى الله عليه وآله : (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، ويكفي المؤمن لقيمات يقيم بها صلبه) . فيجب على كل إنسان أن يضع هذه الحكم السامية نصب عينيه دائماً ليتمتع بنعيم الصحة والعافية طول عمره إن شاء الله .

آداب الأكل

للأكل آداب شرعية كلها تعود الى منافع صحية

وتدابير للحياة ذات أهمية . أهمها غسل اليدين قبل الأكل وبعده - وأهم منها تصغير اللقم وتجويد المضغ ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في جهة آداب الأكل : (صغر اللقم وجود المضغ) .

وأنت تعلم أن الصانع الحكيم الذي صنع بياهر حكمته وقاهر قدرته هذا الهيكل الانساني ، قد جعل لكل عضو من أعضائه وظيفة تخصه ولا يقوم بها غيره : فوظيفة الفم والأسنان الهضم الأول للطعام ، والمعدة لها وظيفة أخرى من العمل . وتحويل ما يصل إليها بعد إستكمال الوظيفة الأولى فيه الي لحم ودم يكون بدل ما يتحلل من البدن ، فإذا انحدر الطعام من الفم الى المعدة غير تام المضغ كابدت المعدة ما ليس من وظيفتها ، واشتغلت بذلك عما يخصها من وظيفتها ، وهذا ينهكها بل يهلكها ، وينشأ من ذلك حدوث أمراض لا علاج لها . فتجويد المضغ وتصغير اللقم المعين له ، له الغاية القصوى من الأهمية في حفظ الصحة وضبط أصول العافية .

الموضوع..... الصفحة

الاهداء	٥
ترجمة المؤلف	٧
مقدمة نجل المؤلف	١٥
دعوة الى الإيمان	١٧
الدين والحقيقة	٢١
تمهيد	٥٩
الباب الأول في العقائد	٦٣
الإيمان	٦٧
حقيقة الإيمان	٦٨
الإيمان الصحيح	٦٩
إثبات الصانع	٧٢
توحيد الصانع والقول بوحدة الوجود	٨١
العدل الاعتقادي	٨٨
المعاد الجسماني	٩٢
النبوة	١٠٨

الموضوع	الصفحة
صفة الأنبياء	١١٠
آدم	١١١
نوح	١١٣
إبراهيم	١١٤
موسى	١١٥
عيسى	١١٧
محمد (ص)	١١٩
بعثة النبي	١٢١
وفاة النبي	١٢٣
الأئمة الاثني عشر	١٢٥
الباب الثاني في الفروع	١٢٩
الماء	١٣٦
النجاسات	١٣٨
المطهرات	١٤٠
قاعدتان شرعيتان	١٤٢
الوضوء	١٤٣
شروط الوضوء وموانعه	١٤٥
نواقض الوضوء	١٤٥
التيمم	١٤٧
مستحبات الصلاة	١٤٩

الموضوع	الصفحة
مقدمات الصلاة	١٥٠
مكان الصلاة والساتر	١٥١
القبلة	١٥٢
أجزاء الصلاة	١٥٣
قواطع الصلاة	١٥٦
الخلل	١٥٨
الشكوك في الصلاة	١٥٩
سجدتا السهو	١٦٢
صلاة الاحتياط	١٦٣
الصوم	١٦٤
الزكاة	١٦٧
زكاة الفطرة	١٧٠
الخمس	١٧٢
الباب الثالث في الآداب والأخلاق	١٧٥
الكلام الكذب	١٧٩
اليمين الكاذب	١٧٩
النهي عن الاسراف في الأكل	١٨٠
الصحة	١٨١
الاعتدال في الطعام	١٨٢
آداب الأكل	١٨٣